



توزيع: مكتبة

مَدَارِيدُ الْعَرَبِيَّةِ

تأليف: الدكتور محمود علي مكي

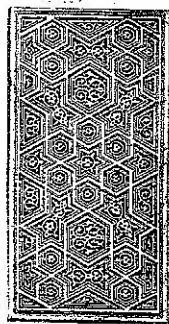
مدريد الخرسانية

الكتور محمود علي مكي

تأليف

دار الكتب العربي للطباعة والنشر
بالمستأجر

تمهيد



العرب والحضارة الانسانية ...

قضية طالما شغلت الباحثين فى تاريخ الحضارة واحتدم حولها الجدل فى أوربا منذ القرن الثامن عشر ، فمن معترف بفضل العرب والمسلمين على الحضارة ومن منكر لهذا الفضل ، أو مقلل من شأنه ..

وكان الرأى السائد بين المستشرقين خلال القرن التاسع عشر هو انكار فضل العرب أو التهوين من دورهم فى خدمة الحضارة الانسانية ودفع ركبها فى طريق التقدم . صحيح أنه كان من بينهم من تحرى الانصاف وتحرر من الهوى ، غير أن غالبيتهم كانت تحذو بهم نوازع العصبية والتحزب ، اذ كانوا يعتبرون التسليم بفضل العرب على حضارتهم انزالا لأوربا عن المكانة التى أرادوا أن يبوئوها اياها باعتبارها سيدة العالم ، ولهذا فقد كانوا يجتهدون فى اثبات ان الحضارة الأوروبية لم تستمد عناصر نهضتها فى أواخر العصور الوسطى ومشارف الحديثة الا من حضارة الاغريق والرومان ، أى من مصادر أوروبية خالصة . وكان هؤلاء المستشرقين واقعين تحت نفوذ الآراء التى كانت تسود أوربا فى ذلك الوقت حول ما سموه

« تفوق » الجنس الآرى الأبيض على الجنس السامى وغيره من الأجناس الملونة ، كما أنه كان مما يزيد تعجرف الأوربيين وغرورهم كون ذلك العصر أوج الاستعمار والامبراطوريات الإترامية الأطراف التى كونتها البلاد الأوربية على حساب الشعوب المستضعفة فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وهكذا أصبحنا نرى لدى العلماء الأوربيين خلال هذا العصر مفاهيم تكاد تكون ثابتة أرادوا أن يقابلوا بها بين قيم كانت تبدو لهم متميزة متقابلة متضادة : الشرق والغرب أوربا وغيرها من القارات ، الجنس الأبيض والأجناس الملونة ، المسيحية وما عداها من الأديان .

غير أن هذا الوضع أخذ فى التغير منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وبدأت موجات التعصب لدى المستشرقين تنحسر وإن لم تنته تماما حتى اليوم ، وأثبتت الأبحاث التى قام بها كثير من العلماء ممن أوتوا قدرا من النزاهة والانصاف أن أوربا تدين بكثير من عناصر حضارتها الحديثة لما أخذته عن العرب والمسلمين .

وتتوالى الأدلة وتتواتر البراهين على هذا التحول الجديد . . ويتجلى للباحثين مدى ما أخذته أوربا عن الشرق والحضارة العربية والإسلامية فى كل ميادين الحياة والعلوم والآداب والفنون والصناعات . ويرى الجميع أنه حتى علوم الإغريق والرومان لم تصل الى أوربا عصر النهضة إلا عن طريق الترجمات العربية .

وقد أعانت على الوصول الى هذه النتائج الأبحاث التى أجريت أخيرا حول الحضارة العربية فى الأندلس ، إذ أن شبه جزيرة إيبيريا كانت بغير شك أول ميدان امتزجت فيه العناصر العربية والأوربية واستطاعت أوربا عن طريقه أن تعرف الكثير عن حضارة العرب والإسلام ، ونقلت كثيرا من هذا التراث الى مختلف بلدانها ، وعلى أساس ما تعلمته أوربا من العرب والمسلمين قامت النهضة الأوربية التى دفعت الحضارة الإنسانية خطوات فى طريق التقدم .

الحضارة العربية في اسبانيا

وقد فتح المسلمون شبه جزيره ايبيريا فى سنة ٩٢ (٧١١) وظلوا فى شبه الجزيرة حتى سقطت
غرناطة آخر معاقل الاسلام فيها فى ايدى النصارى سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) ، على أن انتهاء السلطان السياسى أو العسكرى للمسلمين
لم يكن معناه القضاء على المجتمع الاسلامى ، اذ بقيت فى الأندلس
على الرغم من الهجرات المتوالية الى البلاد المجاورة فى المغرب وعلى
طول الشمال الافريقى جماعات كبيرة من المسلمين عرفوا باسم
الموريسكيين ، واضطر بعضهم تحت وطأة محاكم التحقيق الى
التظاهر بأعتناق المسيحية وأما الذين تمسكوا بدينهم فقد نفوا من
بلادهم فى أكثر من مناسبة وكانت آخر موجة من موجات المطرودين
منهم فى سنة ١٠٢٣ (١٦١٤) .

ومعنى ذلك أن بقاء الاسلام فى شبه الجزيرة يقدر بنحو تسعة
قرون أى مدة تزيد على ما بقيه فى هذه البلاد الرومان والقوطيون
معا . ولهذا فليس من الغريب أن تترك الحضارة العربية فى اسبانيا
والبرتغال آثارا باقية الى اليوم ، وهى واضحة فى كل مظهر من
مظاهر الحياة : فى اللغة وفى التكوين الروحى والجنسى وفى

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وفي الثقافة والفكر،
وفي الفنون والفولكلور ...

لقد كان « الوجود » العربى والإسلامى فى اسبانيا (ويمكن
أن نضيف البرتغال إليها فى ذلك) بمثابة ستار خلفى ينبغى ألا
يغيب عن نظرنا ونحن نتحدث عن هذه البلاد فى أى لون من ألوان
الحياة ، ونحن نكرر هنا ما سبق أن قلناه فى مناسبة سابقة من
أن الحضارة الإسلامية « تركت فى اسبانيا من الآثار ما هو أعمق
بكثير مما يبدو فى الظاهر ، بل أننا لا نبالغ إذا قلنا أنه ينبغى أن
نلمس دائما هذا الستار الخلفى إذا أردنا أن نلتزم طريق الصواب
فى تفسير أى ظاهرة كبيرة أو صغيرة من حياة اسبانيا ، لا فى
الماضى فحسب ، بل فى الحاضر الواقع . إذ أن كل هذه الظواهر
أما أثر مباشر للإسلام والحضارة العربية أو رد فعل غير
مباشر » . (١)

ولا يتسع المجال هنا للتدليل على هذا الحكم العام الذى نلقيه
ونحن واثقون من صحته ، إذ أن ذلك يقتضى الدخول فى جزئيات
لا نهاية لها ، ولكن يكفى أن ننبه هنا إلى عدة حقائق لها خطرها
وأهميتها فى التمهيد لهذا البحث ، وأولها أن الحكم الإسلامى
لشبه الجزيرة لم يكن فى الواقع عملا عسكريا يعتمد على قوة
السلاح ، ولو كان ذلك صحيحا لما أمكن أن نفهم كيف استطاع
الغزاة الذين فتحوا تلك الرقعة المترامية الأطراف (أوسع بلاد
أوربا بعد روسيا) تحت قيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد أن
يقبضوا فيها ويمهدوا سلطانهم بها مع أنهم لم يكونوا يتجاوزون نحو
ثلاثين ألفا ، هم الذين نعرف أنهم قدموا إلى الأندلس مع موسى

(١) انظر مقدمة ترجمتى العربية لمسرحية المؤلف الأسباني أليخاندرى كاسونا :

مركب بلا صياد ، العدد ١٣ من مسرحيات عالمية ١٥ سبتمبر ١٩٦٥ - ص ٢٩

وطارق ثم فى طاعة بلج بن بشر القشيري . ومثل هذا العدد -
مهما قيل عن ضعف القوطيين وانحلال دولتهم - لا يمكن أن يكون
كافيا لفرض سلطان الفاتحين على قطر هائل الاتساع مثل شبه
جزيرة ايبيريا وعلى الشعب الذى كان يضطرب بين جنباته .

والتفسير المنطقي لثبوت أقدام المسلمين فى اسبانيا هو أن
هؤلاء البضعة الآلاف من الفاتحين انما عرفوا كيف يستقرون فى
تلك البلاد بعد أن قدموا للشعب الاسبانى الذى كان يرزح تحت
وطاة الحكم القوطى قيما جديدة نالت قبوله وبهرت نظره . آتى
هؤلاء الفاتحون المسلمون ومعهم دين جديد ولغة جديدة وحضارة
جديدة لم يألفها الشعب المغلوب ولكنه رأى فيها طريق الخلاص
والتقدم . تماما كما رأت ذلك فى الاسلام وحضارته الشعوب التى
فتحتها الجيوش العربية من قبل مثل فارس والعراق والشام
ومصر وشمال أفريقيا . وهذا هو ما يفسر لنا كيف امتدت دولة
الاسلام فى نحو سبعين سنة من تخوم الهند الى جبال اليربنيه .

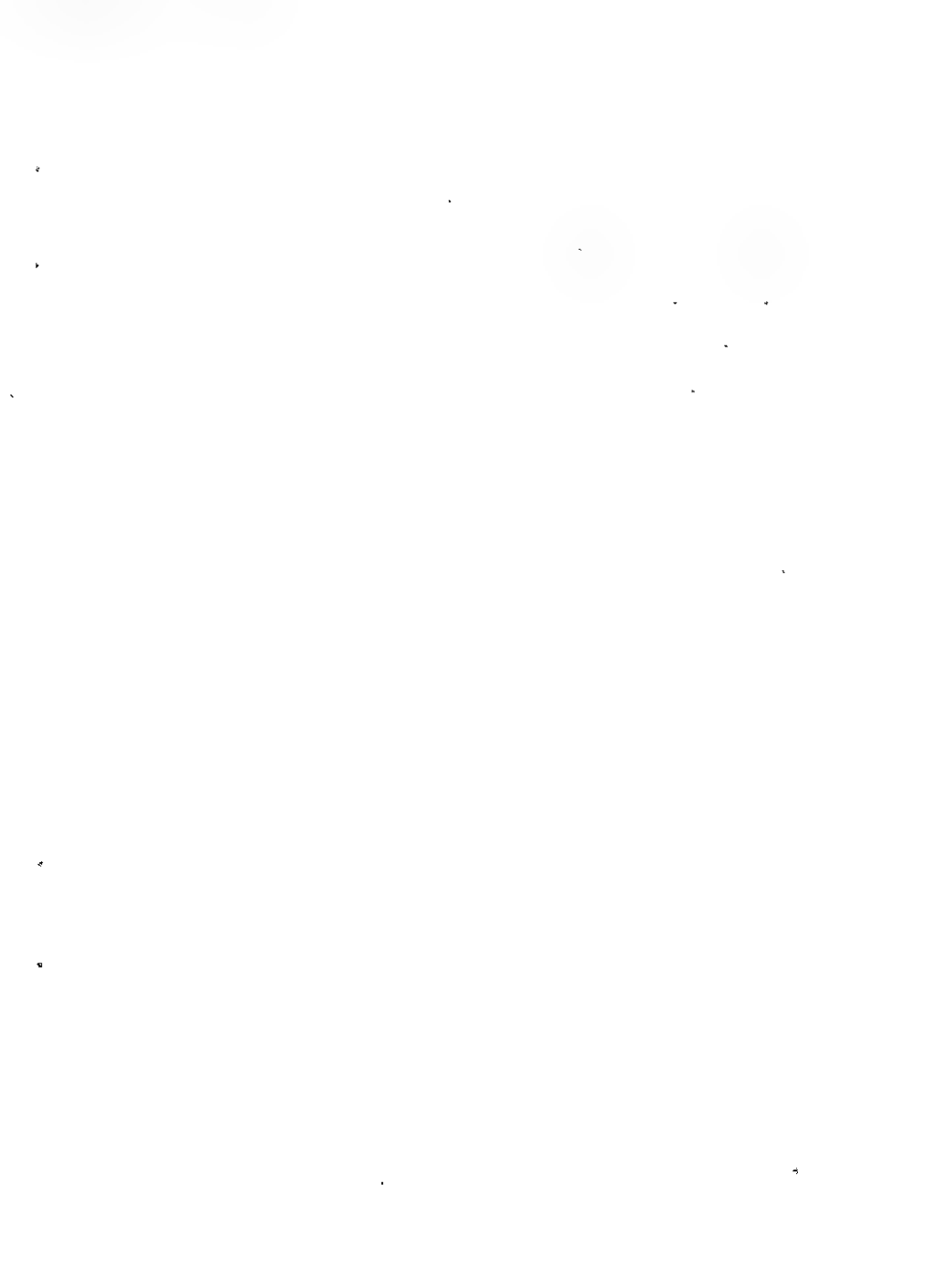
وكان العرب فى معاملتهم للشعوب المغلوبة بعيدين عن التعبد
بالعصبية الجنسية العنصرية ، وعلى الرغم مما أسرفت كتب
التاريخ والأدب فى الحديث عنه من الصراع بين العرب والموالى فإن
واقع الأمر يدلنا على أنه لم تمض سنوات على الامتداد العربى حتى
بدأت حركة امتزاج عميقة بين العرب والشعوب التى انضوت تحت
لوائهم . وفرق بعيد بين سياسة العرب فى هذه الناحية وبين
الرومان على سبيل المثال ، فقد كان هؤلاء لا يمنحون « القومية
الرومانية » لرعايا البلاد الخاضعة لامبراطوريتهم الا فى أضيق
الحدود مما أقام سدودا عالية بين السادة الرومان الحاكمين وعامة
الشعب المحكوم .

ونحن نرى فى الأندلس مظهرا حيا لذلك الاختلاط السريع ،
فقد أتى المسلمون رجالا غزاة لامهاجرين قادمين للاستيطان

بعائلاتهم ، فاتخذوا النساء من شبه الجزيرة وصأهروا أهلها ، وهكذا لا يمضى جيل أو جيلان حتى نرى هذا المجتمع «الاندلسي» الجديد ، هذا المجتمع الاسبانى العربى اذ لا نستطيع أن نطلق عليه احدى هاتين النسبتين فقط ، مجتمعا كانت غالبية تدين بالاسلام وان كانت قد بقيت فيه اقلية نصرانية لا يميزها عن المسلمين الا الدين حتى انها كانت تسمى بالمستعربين اشارة الى تمثلهم الحضارة العربية واصطناعهم لرسومها ، مجتمعا كان يتكلم العربية باعتبارها لفته الرسمية وان كان افراده فى بيوتهم ومجتمعاتهم الخاصة يتحدثون لغة هى خليط من عناصر عربية ولاينية دارجة (رومانسية) مجتمعا كان معتزا بقوميته الاندلسية عميق الشعور بها فى كل لحظة حتى نهاية الاسلام فى تلك البلاد ، مجتمعا تعددت فيه الأجناس والعناصر ففيه العرب وهم بدورهم قادمون من مختلف بلاد الشرق : من الحجاز واليمن وسورية وفلسطين والأردن والعراق ومصر وأفريقية (تونس) والمغرب ، والبربر من شتى قبائلهم المقيمة فى شمال افريقية ، والمواطنين الايبيريين القدماء والاسبان ذوى الأصول الرومانية ، والقوطيين المنحدرين من أصول جرمانية ، والصقالبة الوافدين على البلاد من وسط أوروبا وشرقها ، والمهاجرين من غرب أوروبا ومن بلاد النورمان ، كل هؤلاء اختلطوا فى بوتقة الاندلس ونتج عنهم ذلك الشعب الأصيل الفريد من نوعه .

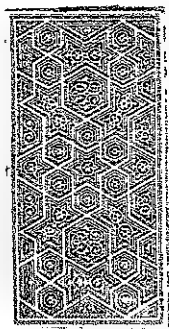
غير انه شعب ينتمى الى العرب والاسلام فى حضارته قبل كل شيء ، وقد كان على اعتداده بقوميته حريصا على عروبوته وديانته ، وزاد من شدة حساسيته القومية والدينية بعده عن قلب العالم الاسلامى الناطق بالعربية ثم مصاقبته لأوروبا المسيحية وتحول

بلادہ الى الثغر الاسلامى الاول حيث كان يدور صراع طويل استمر
نحو عشرة قرون كانت الانتصارات والهزائم خلالها متعاقبة متداولة
حتى انتهى هذا الصراع الذى أبدى فيه الشعب الأندلسى كل الوان
البطولة الى أن نفذ أمر الله وقضاؤه وأسلم قياده الى المسيحية وان
كان قد خلف فى الشعب الاسبانى المسيحى من الآثار ما جعل
اسبانيا الى اليوم مرتبطة بتاريخ العرب وحضارتهم ارتباطا لا فكاه
منه .



مدريد

صفحة مشرقة من تاريخ الحضارة الأندلسية



أصبح من المعتاد إذا تحدث أحد عن الآثار العربية في الأندلس أن يكون أول ما يتبادر إلى خاطره الكلام عن كبريات المدن الأندلسية وعلى رأسها قرطبة بمسجدها الجامع الذي يعتبر من أبهى غرر العمارة الإسلامية في الأندلس وأشبيلية بقصرها المشهور قصر المعتمد بن عباد وخلفاء الموحدين وبمئذنة مسجدها الجامع التي لا تزال تشرف على عروس الوادي الكبير ، وببرجها الصغير المعروف باسم برج الذهب وكلاهما من آثار الموحدين ، وأخيرا غرناطة عاصمة ملوك بني الأحمر بما اشتملت عليه من روائع معمارية سجلت آخر مراحل التاريخ الإسلامي في الأندلس ، وأهمها قصر الحمراء الذي لا يزال شاهدا على جمال الفن الأندلسي في عصر احتضار الإسلام في هذه البلاد .

والواقع أن كل هذه الآثار جديرة بما كتبه المؤرخون وردده الباحثون في تاريخ الفن عنها ، بل ربما كان كل ما كتب حولها لا يزال مقصرا عن استيفائها ما تستحق من بيان وتحليل ودراسة غير أن هذا الاهتمام بكبريات العواصم الأندلسية قد صرف نظر

الناس عن غيرها من المدن الصفرى التى لم تكن أقل من تلك تأثرا
بالحضارة العربية .

وقرطبة واشبيلية وغرناطة مدن لم تدن للعرب بفضل أنشائها
بل هى قديمة ترجع الى العصر الرومانى وان كان العرب هم الذين
جعلوا منها عواصم كبرى تضارع أعظم مدن العصور الوسطى مثل
بغداد والقاهرة وبيزنطة ، بل أن قرطبة الاسلامية فى القرن العاشر
اليلادى كانت بغير شك هى أعظم مدن انغرب الاسلامى وأكبر عاصمة
فى القارة الأوربية كلها بلا استثناء . وهذا دليل على أن العرب كانوا
يحسنون استخدام المدن التى سبقت دخولهم الى البلاد المفتوحة
ويعملون على اكمال عمرانها وتجميلها حتى أنهم لا يلبثون أن يصبحوا
أولى بأن تنسب اليهم .

على أنهم مع ذلك لم يقصروا فى بناء مدن جديدة تحمل طابعهم
المميز ، هذا فضلا عن آلاف المدن الصغيرة والقرى التى خلقوها فى
الأندلس ، وكثير من هذه المدن والقرى العامرة الآن لا يزال يحمل
أسماءه العربية خالصة أو محرفة ، والذى يطالع خريطة حديثة
لاسبانيا والبرتغال يستطيع بسهولة أن يميز مئات الأسماء العربية
مبثوثة على طول اسبانيا وعرضها ، وليس فى الجنوب فقط حيث
استمر الحكم العربى فترة أطول ، بل انه يرى أسماء عربية حتى
فى مناطق لم تعرف للمسلمين فيها اقامة طويلة .

الدين التي أنشأها العرب في الأندلس

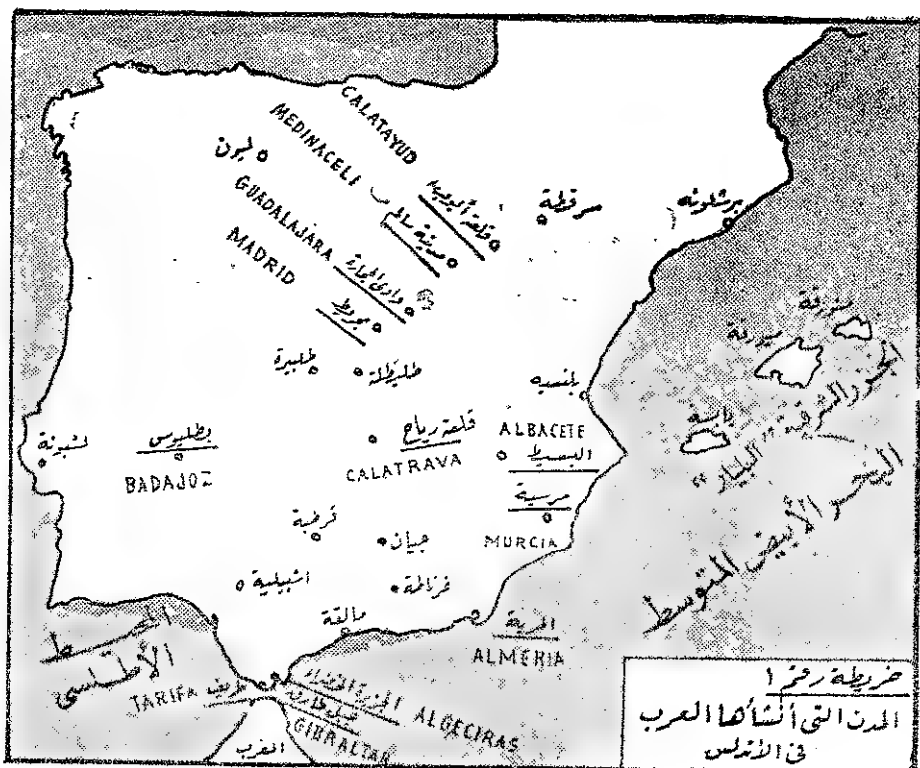
ويطول بنا الأمر لو أننا حاولنا تسجيل هذه
الأسماء ، ولنكتف الآن بإيراد نماذج المدن تعرف
حق المعرفة انها تدين بانشائها في صورتها الحالية الى العرب :

في الجنوب :

الجزيرة الخضراء Algeciras (وكانت تدعى في البدء
جزيرة أم حكيم وتقع على مضيق جبل طارق) .

جبل طارق Gibraltar (أو جبل الفتح وهي
الموضع الذي نزل فيه طارق بن زياد عند فتحه الأندلس وقد أقام
العرب على هذا الجبل مدينة حصينة كانت تتحكم في المضيق مما
حمل البريطانيين على أن يحتلوها في سنة ١٧٠٤ منتزعين اياها من
أيدي الاسبان ، وهي الآن موضع نزاع بين اسبانيا وانجلترا) .

مدينة أو جزيرة طريف Tarifa (وهي تقوم على
شبه جزيرة ، كانت أول موضع نزلت فيه حملة أبو زرعة طريف بن
ملوك الذي أرسله موسى بن نصير في سنة ٩١ (٧١٠) لاستطلاع
أحوال الأندلس قبل القيام بالفتح) .



المدن التي أنشأها العرب في الأندلس ، وهي كثيرة لا يحصيه العدد ،
فدقتنا على المشهور مما وردت الإشارة إليه في الفصل الخامس بذلك من هذا
الكتاب . وقد ميزنا هذه المدن عن غيرها بوضع خطوط تحت أسمائها .

المرية Almeria (على الساحل الجنوبي الشرقى ،
وهى ميناء يرجع الفضل فى بنائها الى عبد الرحمن الناصر ، وفيها
اتخذ مقر أساطيله وقد نمت هذه المدينة بسرعة وأصبحت من كبريات
مدن الأندلس ولا سيما فى أيام الموحدين وعلى عهد دولة بنى
الأحمر) .

فى الشرق :

مرسية Murcia (مدينة كبيرة بناها الأمير عبد
الرحمن الأوسط بن الحكم فى أول أيامه ، وقد أصبحت بعد ذلك
من أعظم مدن شرق الأندلس ، واليها ينتسب محبى الدين بن عربى
وولى الأسكندرية الكبير أبو العباس المرسى) .

البسيط Albacete (مدينة محدثة أنشأ العرب فى
مكانها حصنا عرف بحصن اللج فى فترة متأخرة ، ثم أصبحت اليوم
عاصمة لمقاطعة تحمل اسمها ، وهى تدين باسمها لانبساط الأرض
فى هذه البقعة الممتدة بين شرق الأندلس والهضبة الوسطى) .

فى الغرب :

بطليوس Badajoz (مدينة أنشأها العرب وأن لم تحمل
اسما عربيا ، وقد أنشأها عبد الرحمن بن مروان الجليقى الثائر فى
أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموى فى منتصف القرن الثالث
الهجرى ، وكانت فى أول الأمر قلعة صغيرة ، ثم امتد عمرانها فى
أيام العرب حتى أصبحت عاصمة لدولة بنى الأفطس فى أيام ملوك
الطوائف ، وهى الآن عاصمة للمقاطعة الغريبة المتاخمة للبرتغال) .

فى الهضبة الوسطى :

قلعة رباح Calatrava (مدينة تتبع طليطلة كانت فى أول الأمر حصنا يبدو أن بانيه هو التابعى على بن رباح صاحب موسى بن نصير ، وقد اهتم بها الأمير محمد بن عبد الرحمن واتخذها من قواعد مدينة طليطلة) .

قلعة أيوب Calatayud (مدينة تتبع سرقسطة وتقع الى الجنوب الشرقى منها ، وهى تحمل اسم أيوب بن حبيب اللخمى ابن أخت موسى بن نصير وهى من المدن المنيعه التى اهتم بها العرب حتى أصبحت من قواعد الثغر الأعلى المهمة فى أيام المرابطين) .

مدينة سالم Medinaceli (عاصمة الثغر الأوسط فى أيام العرب ، وتقع على الطريق بين مدريد وسرقسطة ، وتدين بفضل انشائها واسمها الذى لا يزال مطلقا عليها الى سالم بن ورعمال المصمودى أحد قادة البربر (من شمال افريقيا) وكان من موالى بنى مخزوم ، وهى الآن مدينة متوسطة تتبع إقليم سريه Sorbs التى يرجع فضل الاهتمام بها وتحصينها الى العرب كذلك) .

وادی الحجارة Guadalajara (من كبريات مدن الثغر الأدنى ، وتدين باسمها وانشائها الى العرب ، وكانت تسمى أيضا « مدينة الفرج » نسبة الى منشئها الفرج بن مسرة بن سالم حفيد ذلك القائد البربرى الذى أنشأ مدينة سالم من قبل . وما زالت هذه المدينة قائمة تحمل اسمها العربى ، وهى تقع الى الشمال الشرقى من مدريد على بعد نحو ستين كيلو مترا منها) .

مجريط (مدريد) Madrid (عاصمة أسبانيا ، وهى كذلك من بناء العرب كما سنرى من خلال هذا البحث) .

ويطول بنا الحديث لو أننا تتبعنا كل المدن المستحدثة التي قام العرب بإنشائها في اسبانيا ، أما القرى فلا يكاد يحيط بها الحصر ، وهي مبثوثة في جميع أرجاء شبه الجزيرة .

على أننا سنختار في هذه الدراسة مدينة مجريط ، اذ هي تطلعنا على صفحة مشرفة من التاريخ الاسلامي في الأندلس ، وسنرى من دراسة الماضي العربي لهذه المدينة كيف باشرت الحضارة العربية الأندلسية على أرض اسبانيا وشعبها أثرا لا يمكن أن يمحوه الزمن .



اسم مجريط.. هل هو اسم عربي؟



الذى نعرفه معرفة اليقين بحيث أنه يعتبر حقيقة لم ينكرها أى مؤرخ أوربى مهما كان تعصبه هو أن مدريد (مجريط) عاصمة اسبانيا الحالية مدينة تدين بانشائها الى العرب ، وقد كان الجغرافى العربى ياقوت الحموى هو الذى سجل ذلك فى كتابه معجم البلدان ، ولو أنه اختلط عليه أمر اسم المدينة فجعل منها اثنتين سمى الأولى منهما مجريط بالجيـم (١) وسمى الثانية «مجريط» بالحاء . وهذا النص الأخير هو الذى نقصده وهو الذى اعتمد عليه سائر المؤرخين فى اثبات كون هذه المدينة مما أنشأه العرب ، وفيه يقول :

« مدينة بوادى الحجارة ، اختطها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ينسب اليها سعيد بن سالم الثغرى ساكن مجريط (كذا) .. الخ » (٢) .

وقد ظل هذا النص - على ما فيه من خلط واضطراب - هو عماد المؤرخين للمدينة الاسبانية - العاصمة الأوربية الوحيدة التى قام بتأسيسها المسلمون - فى اثباتهم أصل مدريد العربى .

(١) معجم البلدان ، ط . القاهرة سنة ١٩٠٦ ، ٢٨٨/٧ - ٢٨٩

(٢) نفس المرجع ٣٩٤/٧

ثم تأكد ذلك بعد أن نشر المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال كتاب « الروض المعمار » للجغرافى الأندلسى ابن عبد المنعم الحميرى ، إذ أفرد هذا المؤلف لمجريط مادة كرر فيها ذلك الرأى ، وأضاف اليه أخبارا أخرى لها قيمتها مما نقله الجغرافى العربى عن أمير مؤرخى الأندلس ابن حيان (١) .

وأخيرا لم يعد فى هذا الرأى أدنى شك بعد أن عثرنا فى قطعة مخطوطة من كتاب « المقتبس » لابن حيان المذكور تتناول عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن على نص يقول فيه المؤرخ العظيم نقلا عن الرازى :

« ولمحمد فى سلطانه الآثار الجميلة ، والآيات الجزيلة ، والفتوح العظيمة ، والعناية التامة بمصالح المسلمين ، والتهمم بشغورهم ، والحفظ لفروجهم ، والضبط لأطرافهم ، والتوجيه لمصالحهم ، وهو أمر ببنيان حصن استيرش لقلال مدينة سالم ، وهو منها بين الجوف والغرب ، وهو الذى بنى لأهل ثغر طليطلة حصن ظلمنكة وحصن مجريط وحصن بنة فراطه » (٢)

غير أن كون العرب أنشأوا مجريط لم يكن يعنى بالضرورة أن اسمها عربى ، ولا سيما فى الأندلس ذات المجتمع الذى أشرنا الى ازدواج اللغة فيه ، بل اننا نرى فى هذا النص نفسه من بين المدن

(١) ابن عبيد المنعم الحميرى : الروض المعمار ص ١٧٩ - ١٨٠ من النص العربى و ٢١٦ من الترجمة الفرنسية .

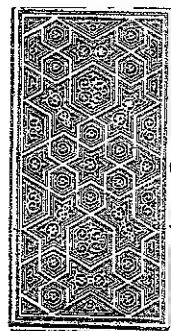
(٢) عثرنا على هذه القطعة من تاريخ المقتبس لابن حيان فى مكتبة جامعة القرويين بفاس (المغرب الأقصى) ، والنص المذكور يقع منها فى الورقة رقم ٢٢٢ آ . وقد سبق أن نشرنا هذا النص فى مقال لنا نشر فى مجلة « العربى » الصادرة فى الكويت ، رقم ٤٧ ، أكتوبر سنة ١٩٦٢ تحت عنوان « مدريد : عاصمة اسبانيا التى بناها المسلمون » ، ص ١٦ - ٢٢ . أما هذه القطعة من كتاب المقتبس فانها تحت الطبع الآن فى بيروت ، بتحقيقنا .

ألتى قام ببنائها الأمير محمد مع مجريط ثلاث قلاع أخرى ليس بينها ما يحمل اسما عربيا هي : استيرش وهي الاسبانية Esteras وطمنكة Talamanca وبته فراطه Peñahora ، وهما لفظان : Peña (باللاتينية Penna أى صخرة) و Forata (بالاسبانية الحديثة Horadada أى المنقورة أو المحفورة أو المجوفة) . وفى الأندلس عدد هائل من المدن والقرى يرجع الفضل فى انشائها الى العرب ولو أنهم أطلقوا عليها أسماء لاتينية أو لاتينية دارجة ربما كانت تدل على اسم الموضع من قبل ، ولم ير العرب ما يدعو الى استبدال تلك الأسماء بأخرى جديدة .

ومن هنا دب الخلاف بين الباحثين حول اسم « مجريط » ، وحاول بعضهم تفسيره على أساس اشتقاق عربى بينما أنكر آخرون ذلك قائلين ان العرب استخدموا لفظا قديما شائعا بين سكان هذه المنطقة وان لم يجمعوا على أصل اشتقاق ذلك اللفظ .



آراء المؤرخين واللغويين في استقانا اسم "مجرط"



قبل أن نعرض للآراء المختلفة حول أصل اسم
«مجرط» الذى أطلقه العرب على عاصمة
أسبانيا المستقبلية يجدر بنا أن نشير الى التطور التاريخى لهذا
الاسم .

وقد كان الاسم العربى هو المتفق عليه منذ انشاء المدينة على
أيدى العرب حتى وقوعها فى أيدى النصارى فى سنة ٤٧٦
(١٠٨٣ م) ، أما الاسم المسيحى الذى كان يطلق على المدينة فى
هذا الوقت فقد كان رسماً للنطق العربى وتقلداً عنه بغير أدنى
تحريف ، اذ كان على هذه الصورة ، Magerit ، وبهذه الصيغة
نرى اسم المدينة فى نص للمؤرخ النصرانى سامبيرو فى مدونته التى
كتبها فى القرن الحادى عشر الميلادى . ويجب أن نضع فى حسابنا
أن حرفى الـ ge كانا يصدقان دائماً فى اللغة التى كان يتخاطب
بها نصارى الأندلس المستعربون على الجيم العربية المعطشة ، وهذه
ظاهرة سجلها فقهاء اللغة الأسبان واصطلحوا عليها (١) .

(١) انظر كتاب مننث بيدال : أصول اللغة الاسبانية ص ٥٣ و ٦٥ .

ولم يكن استيلاء النصارى على المدينة فى أواخر القرن الحادى عشر مؤذنا بتغير اسمها ، اذ ظلت معروفة بين أهل قشتالة المسيحيين بنفس الاسم العربى ، وعلى النحو الذى ذكرنا ، أى Magerit ، نرى هذا الاسم فى بعض الوثائق اللاتينية التى ترجع الى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وان كانت قد بدأت فى الظهور صيغ أخرى مثل Macherico, Maierit وأخيرا Madrit و Madrid التى كتبت هكذا لأول مرة فى وثيقة ترجع الى سنة ١١٩٢ . وقد كانت الصيغتان الأخيرتان هما أشيع الصيغ وأكثرها استعمالا خلال القرن الثالث عشر وان لم يكن معنى ذلك أن الصيغ الأخرى قد اختفت تماما .

وتبدأ الصيغة النهائية Madrid فى فرض نفسها على لغة الكتابة ابتداء من القرن الرابع عشر حتى اليوم . وان لم يكن الأمر كذلك فى لغة الحديث ، اذ مازال الكثيرون فى مدريد الآن ينطقون اسم مدينتهم أما بحذف الحرف الأخير أو بإبداله ثاء اذ يجعلونه Madriz (مدريد) ، وهى ظاهرة شائعة فى الأحياء الشعبية للمدينة (١) .

أما آراء فقهاء اللغة حول الأصل الاشتقاقى لاسم Magerit الذى ورثه النصارى عن «مجرىط» العربية فانها كانت على أشد ما يكون عليه الخلاف والتضارب .

١ - وأول رأى ظهر فى تفسير أصل هذا الاسم هو الذى يقول أنه مشتق من الكلمة اللاتينية Maior (أى الأكبر) ، وهو رأى كان أول من نادى به فى أوائل القرن السادس عشر الشاعر خوان أورنادودى مندوثا فى أبيات ضمنها فخرا بمدريد وتمييزا

(١) انظر أوليفر أسين : تاريخ اسم مدريد ص ١٩٤ .

لها عن سائر مدن الدنيا . ويقول هـنـذا الرأى أن الاسم اللاتينى القديم لمـدرید هو Maorium ومنه جاءت التسمية Magerit التى استخدمها العرب والمستعربون النصارى عند انشاء المدينة . وحاول المؤيدون للرأى أن يربطوا بين هذا اللفظ وبين الاسم اللاتينى Maorica الذى اطلقه الرومان على جزيرة ميورقة (من جزر البليار - بمعنى الجزيرة الكبرى) وهو الذى تحرف فى الاسبانية الحديثة الى Mallorca وفات هؤلاء أن ذلك الاسم لم يكن الا اختراعا جادت به أذهان بعض المتحذلقين فى فترة متأخرة جدا عن بناء المدينة (فى القرن الثالث عشر الميلادى) حتى يطوعوا هذا الاشتقاق لأصل لاتينى مفتعل لا تؤيده الأصول الاشتقاقية .

٢ - ولكن هذا التفسير لم يتح له القبول فى أوساط العلماء . وهكذا عادوا الى البحث عن أمتاف عربى ممكن لاسم المدينة ، اذ كان الجميع فى هذه الفترة « القرن السادس عشر الميلادى » مقتنعين بأنه لابد للاسم أن يكون عربى الأصل ، وان لم ينققوا على اشتقاق واحد له . وزاد ايمان الناس بذلك بصفة خاصة بعد أن أصبحت مجريط عاصمة اسبانيا فى عهد الملك فيليب الثانى سنة ١٥٦١ ، وربما كان ذلك يرجع الى وجود جالية كبيرة من المسلمين الموريسكيين فى المدينة والى رغبة الجميع هناك سواء هؤلاء المسلمين أو النصارى المعاشين لهم فى تلمس كل ما من شأنه أن يخلق روابط للتفاهم وحسن الجوار بين الجانبين .

والى هذا العصر ترجع التفسيرات العربية لاسم مجريط ، وأولها هو مانجده فى كتب لويث دى أويوس Lopez de Hoyos (١٥٦٩) وفنتورينى Venturini (١٥٧١) وكوك Cock (١٥٨٤) الذين قالوا ما مجمله أن «مدرید» مأخوذة من كلمة عربية معناها المكان ذو الهواء الطيب . ولا بد أن هؤلاء فى هذا التفسير

قد رجعوا الى بعض الموريسكيين ممن كانوا يعرفون العربية • ونحن نرى أن اللفظ العربي الذى بدا لأولئك أن اسم «مدرید» مشتق منه هو مذرى أو مذرة ، المشتقان من الفعل « ذرا » أى نثر فى الريح ، ومن هذه الكلمة أتت «الذاريات» أى الرياح الشديدة العنيفة • والتفسير يبدو لأول وهلة مقبولا لولا أنه اعتمد اسم العاصمة الاسبانية فى صورته الحديثة المتطورة : مدريد ، فهو لا ينسجم مع الاسم الذى أطلقه العرب الذين أنشأوا المدينة أولا ، وهو كما نعرف «مجريط» •

٣ - ويأتى بعد ذلك تفسير آخر نادى به جابرييل لوبو لاسودى لافييجا Gabriel Lobo Laso de la Vega الذى قال ان اسم مدريد مشتق من كلمة تعنى بالعربية الشوكة المثثة التى يستخدمها الزراع لتذرية الغلال ، وذلك للتشابه القائم بين مدريد وهذه الآلة من آلات الزراعة فهى مثلها تنفرع منها ثلاث طرق هى الخارجة من أبوابها الثلاثة : باب وادى الحجارة وباب الفحص المؤدى الى مدينة شقوبية ، وباب المسلمين المتوجه الى مدينة طليطلة •

ووأضح أن هذا التفسير الجديد يعتمد على نفس الأصل العربى الذى قام عليه التفسير السابق أى من الفعل « ذرا » وإن كان مأخوذا فى هذه المرة من كلمة « المذرى » بمعنى الآلة التى تستخدم للذرو ، وعيب هذا التفسير هو عيب سابقه ، اذ هو يعتمد اسم «مدرید» بصورته الحديثة ، دون أن يتنبه صاحبه الى أنه لا صلة بينه وبين الاسم القديم «مجريط» •

٤ - ثم نجد بعد ذلك تفسيراً لفرانسيسكو لوبث دى تماريد Francisco Lopez de Tamarid وكان قساً غرناطياً من أصل موريسكى على ما يرجح ، اذ كان يعمل مترجماً للعربية لدى السلطات الكنسية ، وكان الموريسكيون هم الذين يحتكرون وظائف الترجمة الى العربية ومنها • ويقوم هذا التفسير الجديد على أن كلمة

« مجريط » مشتقة من لفظ يعنى الحجارة أو الصخر ، ولابد أن هذا المفسر الذى كان يعرف العربية انما قصد أن لفظ مجريط مرتبط بكلمة « محجر » أى المكان الصخرى الكثير الحجارة • على أنه يضيف الى ذلك أن معنى الكلمة « حجارة النار » ، ويبدو أنه قصد تأويل تلك الجملة الشائعة التى كانت تذكر أن « مدريد مدينة بنيت على الماء ، تحيط بها النار من كل جانب » • والتفسير فيه تكلف ظاهر وان كانت قيمته فى أن المفسر قد فطن الى اسم مدريد الأول أى « مجريط » بالجمع •

٥ - وقد أورد تماريد المذكور نفسه تفسيراً آخر كان هو الذى قدر له الشيوخ والانتشار اذ قال ان الاسم ربما كان مأخوذاً من كلمة عربية تعنى « الجامعة » أو « مجمع العلم » ، ويبدو أنه قصد بذلك اما كلمة « المدرسة » أو « المحضر » بمعنى مجلس العلم ، ولكن هذين التفسيرين لا يستقيمان الا باعتبار اسم المدينة « مدريد » لا « مجريط » •

على أن هذا التفسير الأخير هو الذى لقي قبولا من أهل العلم فى اسبانيا خلال النصف الأخير من القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ، وقد تردد صداه مثلاً فى أبيات للشاعر المسرحى الكبير لوبى دى فيجا Lope de Vega اذ يقول :

« لقد سماها العرب اذ بنوها » مدريد »

لفظاً يعنى فى لغتهم « أم العلوم »

اما لأنهم اتخذوا منها مدرسة تلقن فيها كل الفنون

أو لأن أرضها كانت - كما هى الآن -

خصبة بالعباقره الأفذاذ فى كل علم » •

٦ - وآخر تفسير عربى للفظ « مجريط » هو الذى قاله نونيث دى كاسترو Nuñez de Castro فى سنة ١٦٦٩ ، وهو ينص

على أن العرب أطلقوا عليها ذلك الاسم الذى يعنى عندهم « مطلع الشمس » فمعناه اذن : « مدينة الشمس » وذلك بسبب ما يلاحظ من اشراقها وبهجتها ولمعان الضوء فيها ، وربما كان مما أوحى بهذا التفسير اسم ذلك الميدان الذى يتوسط مدريد والذى يدعى حتى الآن « بوابة الشمس Puerta del Sol » ، ولابد أن صاحب هذا التأويل أراد أن يربط بين اسم « مجريط » ولفظ « مشرق » .



غير أن هذه التأويلات العربية لاسم « مجريط » أو « مدريد » كانت تبدو فى نظر بعض العلماء الاسبان ولاسيما فى عصور التعصب الدينى والمذهبى أمرا لا يمكن قبوله ، اذ كانوا يرون فيه اعلاء لشأن العرب وتنويها بالحضارة الاسلامية وهو أمر لم يكونوا مستعدين للتسليم به . ومن هنا ظهر مرة أخرى ذلك الاتجاه الذى كان يسعى لايجاد تاويل لاتينى بل اغريقى فى بعض الاحيان لاسم مدريد .

٧ - ومن قبيل هذه التأويلات ما نراه فى كتاب خيرونيمودى كنتانا Jeronimo de Quintana عن « تاريخ مدريد منذ العصر القديم » Historia de la antigüedad de Madrid « سنة ١٦٢٩ » ، من محاولة تفنيد تلك الاشتقاقات العربية ، واثبات أن أصل اسم مدريد القديم هو اللفظ الاغريقى Mantua الذى جعله الرومان Maioritum اشارة الى اتساع خطط المدينة وعظمتها على عهدهم ، وهذا الاسم هو الذى حرفه العرب الى Magerito (مجريط) . ويستدل كنتانا على رأيه بأن أسوار مجريط القديمة ليست عربية ، بل رومانية ، وان كان يعترف بأن العرب كان لهم بعض الفضل فى الاهتمام بالمدينة واتخاذها مركزا ممتازا للعلوم والثقافة .

والحقيقة أن رأى الذى نادى به كنتانا ليس جديدا ، بل هو احياء للرأى القديم الذى تضمنته أبيات الشاعر خوان أورتابادوى

مندوثا التي أشرنا إليها من قبل . أما ما ذكره من تسمية الاغريق لها بلفظ مانتوا ومن انشاء الرومان لأسوارها وخططها فهو مالم يأت عليه بأى سند تاريخي مقبول . ومن هنا لم يكن لتفسيره قبول فى الأوساط العلمية فى مدريد ، وظل الناس مؤمنين بان المدينة عربية الأصل وبأن اسمها ينبغى أن يكون عربيا كذلك .

٨ - وقد تأيدت هذه الفكرة فى خلال القرن الثامن عشر ، ولاسيما بعد أن اعترف بصحتها مستشرق له وزنه ، هو ميخائيل الغزيرى Miguel Casiri ، وكان عالما لبناني الأصل استدعاه ملك اسبانيا كارلوس الثالث لكى يقوم بفهرسة المخطوطات العربية فى مكتبة الاسكوريال . وقد أصدر الغزيرى فهرسته هذه فى مجلدين نشرا باللاتينية بين سنتي ١٧٦٠ و ١٧٧٠ .

وكان مما قاله الغزيرى بمناسبة الحديث عن مسلمة المجرطى أن «مجرط» - وان كان ذا صلة باللفظ اللاتيني Maioritum - فانه كذلك لفظ «افريقى» معناه «مجرى الماء أو الطريق الواسع» (باللاتينية aquaeductum et curriculum) . ويبدو أن الغزيرى فى نظره لكلمة «مجرط» قد فطن الى أن الجزء الأول منها «مجرى» وعلى هذا الأساس فسرها بأنها المكان الذى يجرى فيه الماء أو الساحة التى تجرى فيها الخيل ، ولو أن الذى لم يفسره لنا الغزيرى هو تلك النهاية الغربية «الياء والطاء» التى اضيفت الى ذلك اللفظ العربى .

وعلى كل حال فان المكانة التى كان العالم اللباني يتمتع بها فى الأوساط العلمية الاسبانية جعلت الباحثين يعودون الى الاقتناع بالأصل العربى للكلمة والدفاع عن هذا رأى ، ولو أن تأويل الغزيرى لم يكن واضحا كل الوضوح ولا سادا لكل الثغرات .

٩ - ويشبه هذا رأى تفسير آخر أعلنه خوان أنتونيوبيلير Juan Antonio Pellicer فى كتابه «خطاب حول آثار مدريد القديمة

(Discurso sobre varias antigüedades de Madrid سنة ١٧٩١)

وهو تفسير اعتمد فيه هذا المؤلف على كتاب للمستشرق البرتغالي جوان دى سوسا Joao de Sousa عن «أثار اللغة العربية في البرتغالية» (سنة ١٧٨٩) ، اذ قال ان لفظ «مجريط» يتألف من كلمتين : «ما» أى ماء و «جريت» وهو تحريف للفعل «جرى» ، فمعناه اذن الماء الجارى . ولكن هذا التفسير بدوره بين التكلف .

١٠ - غير أن العلماء خلال العصر التالى (القرن التاسع عشر) بدأوا يفقدون انقة في أمثال هذه التأويلات العربية . وكان بليشر نفسه هو أول من أعان على هذا الاتجاه الجديد ، فنحن نجده في كتاب آخر له يعدل عن رأيه الأول ويشركك فيه بعد أن ذكر صديقه المستشرق الاسباني خوسيه أنتونيوكوندى José Antonio Conde أن لفظ «مجريط» لا يعنى شيئا في العربية ، وذلك بمناسبة نشره للمقطعة الخاصة بالأندلس من جغرافية الادريسي (سنة ١٧٩٩) .

ومن هنا عادت الى الأذهان تلك التأويلات القديمة التى ترد الاسم الى الاغريقية واللاتينية ، غير أن اجدر هذه التأويلات بالاهتمام هو ذلك الذى اقترحه جوفانتيس Govantes فى كتابه « المعجم الجغرافى التاريخى لاسبانيا اذ قال ان « مدريد » تعنى « النهر الأم » (من الأصل mater بمعنى الأم) . ولكن هذا الأصل لم يكن من السهل قبوله لسببين : الأول هو أنه لم يدخل فى حسابه التسمية العربية القديمة « مجريط » وهى التى ظلت مستخدمة بين النصارى بعد ذلك ، ثم انه لم يفسر كيف تحول الحرف الأخير الى دال فى الاسم الحديث للمدينة .

١١ - ويأتى القرن العشرون ، ويعيد المؤرخون وفقهاء اللغة بحث مسألة اشتقاق اسم العاصمة الاسبانية ، اذ تبدو كل تلك الآراء السابقة بعيدة عن الاقناع مفرطة فى التكلف ، ويتجنب الباحثون تلك التأويلات التى ترد اسم المدينة الى أصل عربى لأسىما

بعد أن يلقي أحد كبار المستشرقين الثقات مثل الألماني زايبولد Seybold رأيه في ذلك فيقول « ان كل التأويلات السابقة التي تجعل اسم مجريط أو مدريد مشتقا من أصل عربي ليست الا تكهنات ألقيت في غير تثبت ودون أن يقوم عليها أى دليل » ، ويزداد الباحثون اقتناعا بهذه الفكرة بعد أن رأوا أن ميغيل أسين Miguel Asin Palacios شيخ المستشرقين الاسبان في النصف الأول من هذا القرن قد استبعد لفظ «مجريط» لا من قائمة الأسماء الجغرافية ذات الأصل العربي فحسب بل حتى من قائمة الألفاظ التي يحتمل أن يكون لها تأويل يمت الى العربية بصلة .

وأفسح تخلى المستشرقين والمتخصصين في الدراسات العربية عن الميدان الطريق أمام المتصدين لكل اشتقاق آخر مهما كانت غرابته وبعده عن المنطق .

وكان من أول هذه التأويلات الجديدة ما قاله الأب فيدل فيتا Fidel Fita في سنة ١٩٠٢ من أن لفظ Magerit مركب من كلمتين لاتينيتين : magus بمعنى حقل أو معسكر أو فحص و ritum أى مخاضة أو طريق أو قنطرة على النهر ، وأن اللفظ اذن يشير الى الفحص المنخفض الممتد على ضفاف نهر المانثانارس (نهر مدريد) تحت أقدام أسوار المدينة .

١٢ - وطلع علينا الباحث الماني يوهانس جونجفر Johannes Jungfer في سنة ١٩٠٨ برأى آخر لا يقل غرابة عن سابقه هو أن أصل اسم مجريط هو اسم علم لشخص كان يدعى ميداريد Medarid ، ثم أبدلت الدال جيما طبقا لظاهرة لغوية لها بعض التكرار في اللغة الاسبانية .

والتفسيران الآخرين فضلا عن تكلفهما البين واقتسارهما الى حجج مقنعة لا يرضعان في الحساب النطق الصحيح للجيم في كلمة Magerit ، وهو نطق يجعلها رسما للجيم المعطشة العربية .

١٣ - ومثل هذا العصف هو الذى نلاحظه على التفسير الذى اقترحه اليونانى تيودوتوس Theodotos فى سنة ١٩٢٨ لذلك الاسم ، اذ حاول أن يرجعه الى أصل اغريقى ، فذكر فى مقال له نشره فى جريدة « الميساجير » الصادرة فى أثينا أن اسم «مدريد» مأخوذ من لفظ Madryeides المشتق بدوره من madrya الذى كان الاغريق يطلقونه على ضرب من البرقوق البرى يكثر فى جبال وادى الرمل Sierra de Guadarrama القريبة من مدريد ، وهو ثمر كانت الدببة تكثر من أكله . وقد كان من التوافق ان شجر هذا البرقوق والدب هما اللذان يتخذان شعارا لمدينة مدريد فى درعها المميز لها ، وهذا هو ما أوحى لأول وهلة بوجاهة ذلك التأويل وان كان فى حقيقته لا يخرج عن كونه شطحة أخرى من شطحات الخيال .

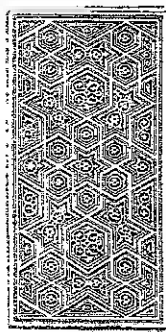
١٤ - ولم تكن كثرة هذه التأويلات وتنوعها على حل هذه المشكلة اللغوية ، بل زادت تعقيدا وتشعبا ، حتى ان العالم الاسبانى الجليل رامون مننديث بيدال Ramon Menendez Pidal خالق علم فقه اللغة الحديث فى الاسبانية ورئيس المجمع اللغوى انتهى فى دراسة له حول اشتقاق اسم « مدريد » فى سنة ١٩٤٥ الى أن مشكلته ليست عسيرة معقدة فحسب ، بل هى « حالة ميثوس هزباً » . ومع ذلك فانه أورد افتراضا يقوم على أساس احتمال كى اسم « مجريط » مأخوذاً من لفظ كلثى (١) قديم مركب هو Mageterito ومعناه المخاضة أو القنطرة الطويلة . وهو تأويل لا يختلف عن التأويل السابقة التى لا تعتمد على حجة لغوية ولا تاريخية مقبولة .

(١) الكلتشون Los celtas هم شعب قديم استقر فى الجزر البريطانية وفرنسا وشمال اسبانيا .

١٥ - وكان من آخر من أدلوا بدلوهم في هذا الميدان العالم الأثرى الكبير مانويل جومث مورينو Manuel Gomez Moreno الذى قال انه يحتمل أن يكون الاسم مأخوذ من لفظ majada الذى يعنى فى الاسبانية الدارجة مرعى الضأن ، وهو لفظ يقول البعض انه مأخوذ من الكلمة الفينيقية magalia (غير أن أهم ما جاء فى تأويل جومث مورينو هو أنه فطن الى المقطع الأخير فى لفظ «مجريط» وهو الياء والطاء (It) النهائيتان ، فقد استقصى هذا المقطع وتتبعه فى اللغة الاسبانية ونوه بأنه يدل على التكرير ، فمعنى اسم مجريط حسب هذا التأويل « المكان الذى تكثر فيه المراعى » . وسنرى قيمة هذه الإشارة فيما نحن بصدده من الحديث عن مدريد الاسلامية (١) .

(١) اعتمدنا فى هذا العرض على ما أورده أوليفر إسبن فى كتابه : « تاريخ اسم مدريد » ، ط . مدريد سنة ١٩٥٨ .

رائى جدي يضع قمتاً للجبل .. هولا اسم "مجرىط"



لم يكن فى كل هذه الآراء التى عرضناها ما يحل
هذه المشكلة التى سماها منندث بيدال « حالة
ميثوسا منها » .

ولكن العلم ليس فيه ما يبلغ فيه الأمر حد اليأس ، وقد شغلت
مشكلة اسم مجرىط اهتمام عالم اسباني أصبح اليوم من أعظم علماء
اللغة وفقهاؤها ومؤرخيها فى اسبانيا ، نعى به الأستاذ خايمه
أوليفر أسين Jaime Oliver Asin ، وقد كان من أهم ما توفر
لهذا العالم من أدوات البحث اللغوى كونه قد جمع بين التبحر فى
اللغة اللاتينية واللغات المشتقة منها والفقہ باللغة العربية والتمكن
من الدراسات الاستشراقية ، ولا غرو فهو ابن أخى شيخ المستشرقين
الاسبان فى القرن العشرين ميجيل أسين بلاثيوس صاحب الدراسات
الكثيرة التى جلى فيها أثر الثقافة الاسلامية والعربية فى اسبانيا
وفى أوروبا المسيحية بوجه عام . وقد ورث أوليفر أسين عن عمه
هذه المعرفة العميقة باللغة العربية والتبحر فى الأندلسيات . وهكذا
تيسرت له الأدوات اللازمة لبحث مشكلة اسم « مجرىط » من جديد ،

ومن أولها معرفة العربية والاطلاع الواسع على مختلف مظاهر الحضارة الإسلامية في الأندلس . وهذا هو ما يجب أن يتوفر لكل من يتعرض للحديث في أى موضوع من مواضيع التاريخ الأسباني القديم أو حتى الحديث .

عكف خايمة أوليفر أسين على دراسة اسم مدريد متسلحا بهذه الذخيرة من العلم بذلك التراث الإسلامي والمسيحي الذى كانت الأندلس خير مزاج له . وبدأ بداية سليمة كانت هى الوحيدة التى تكفل له الوصول الى النتيجة المرجوة ، اذ جعل أول ما وجه اليه اهتمامه هو مولد قلعة مجريط على أيدي العرب ، وذلك بعد أن أجمع كل المؤرخين مسلميهم ونصاراهم على أن مجريط تدين للمسلمين بفضل خلقها .

صحيح أنه من المحتمل أن تكون قد وجدت قريبا من موضع مجريط قبل الفتح الإسلامي قرية صغيرة مثل عشرات القرى الضئيلة التى كانت قريبة من ضفاف فروع نهر التاجو Rio Tajo التابعة من جبل الشارات والتى تخترق الهضبة الوسطى فى اسبانيا من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ، قرية كان سكانها يشتغلون بالرعى والصيد فى الغالب .

وكان أول ما ينبغى أن يتوفر الباحث على دراسته هو الاجابة على هذا السؤال : لماذا اختار العرب مكان هذه القرية الضئيلة النافذة لكى يبنوا عليه قلعة لها خطرها ؟ وكيف تحولت هذه القلعة فى عهدهم الى « مدينة شريفة » على حد وصف الحميرى لها فى معجمه الجغرافى ؟

ان الذى يتأمل الفتح العربى لاسبانيا وأبعاده وحدوده وارتباطه بالجغرافية الطبيعية للبلاد يستطيع أن يجد تفسيراً لهذين السؤالين .

فنحن نعرف أن الحملات العربية الأولى في الأندلس تمكنت في البدء من الاستيلاء على معظم شبه الجزيرة ولم تترك منها الا الركن القصي الواقع في الشمال الغربى في المنطقة التى تدعى جليقية Galicia ، واعتقد قادة المسلمين أنهم أتموا فتح الجزيرة فتحولوا بجهودهم الى الركن الشمالى الشرقى والى ما وراء جبال البرتات (البيرينيه) ، واستصغروا شأن تلك المنطقة الجليقية وما جاورها على الساحل الكنتبرى ، دون أن يقدرُوا أن هذه البقعة الصغيرة هى التى سينجم منها عليهم شر مستطير ينتهى الى اضعاف دولة الاسلام فى الأندلس ثم القضاء عليها بعد ثمانية قرون . فقد تركزت المقاومة النصرانية هناك تحت قيادة « بلاى Pelayo » الذى خرج على المسلمين فى أستوريش Asturias . وكان من سوء حظ العرب انه لم تكد تمضى فورة الفتح فى الأولى حتى نشبت الفتن والحروب الأهلية بين صفوفهم : بين العرب والبربر وبين الشاميين والبليديين وبين المضرية واليمانية ، وأفنت هذه الحروب كثيرا من المسلمين فراجعوا عن شمال شبه الجزيرة بغير هزيمة ، وأخلوا منطقة واسعة كانت تنتهى فى الشمال الى حوض الدويرة ، ثم انحدرت حتى حوض التاجو ، ولم تتمهد الأمور لعبد الرحمن الداخل منشاء الامارة الأموية حتى كانت حدود الدولة الإسلامية تبدأ من ناحية الشرق عند بنبلونه Pamplona فى أقصى الشمال الشرقى ثم تنحدر الى تطيلة على وادى الابرور Rio Ebro ثم تنحرف الى الجنوب الغربى الى سريه Soria فمدينة سالم Medinaceli فوادى الحجارة (من ثغور طليطلة) على وادى التاجو فطليبرية Talavera فقورية Coria حتى تنتهى فى الغرب الى قلمرية Coimbra (فى البرتغال) على ساحل المحيط الأطلسى ، أى أن الأندلس الإسلامية فقدت ربع شبه الجزيرة على وجه

التقريب قبيل مقدم عبد الرحمن الداخل ، وبعد الفتح الاسلامي
بنحو أربعين سنة (١) .

ولو أننا أنعمنا النظر في هذه الحدود الفاصلة بين المملكتين
الاسلامية والمسيحية طوال عهد الأمويين أمراء قرطبة لوجدنا أنها
تكاد تسير في وسط شبه الجزيرة تلك السلسلة العالية من
الجبال التي كانت تعرف باسم « الشارات » أو بجبال وادي الرمل
Sierra de Guadarrama وهو الاسم الذي أطلقه العرب عليها ومازال
هو المستخدم في اسبانيا حتى اليوم . وكانت أهم مدينة تقع في
هذه المنطقة هي طليطلة Toledo عاصمة اسبانيا على عهد
القوطيين ، وإذا كانت طليطلة في ظل الحكم العربي قد فقدت مركزها
الأول منذ أن اتخذ المسلمون قرطبة عاصمة للأندلس فإنهم مع ذلك
قد أولوها اهتماما كبيرا باعتبارها « الثغر الأدنى » المتاخم في
وسط شبه الجزيرة للنصارى . ثم انها كانت مدينة كثيرة الثورات،
وكان أهلها نزاعين الى الخلاف مما جعل أمراء بني أمية يعملون على
تشديد المراقبة والحراسة عليها ، خوفا من حركات الثورة والتمرد
بها من ناحية وتوقيا لغارات النصارى من قواعدهم القريبة منها على
السفوح الشمالية لجبال وادي الرمل مثل شقوبية Segovia
وأبله Avila

وهذا هو ما حمل أمراء الأندلس على أن يحصنوا خطوطهم
الدفاعية الممتدة بين سرقسطة وطليطلة فينشئوا على طول هذا
الخط عددا من القواعد المنيعة مثل سرية ومدينة سالم ووادي
الحجارة .

غير أن شوكة النصارى كانت قد بدأت تشتد منذ منتصف القرن
الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ولاسيما منذ أن ولي عرش

(١) انظر الدكتور حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٣٤٨ - ٣٥٢

اشتوريش وليون الملك المسيحي الفونسو الثالث الملقب بالعظيم Alfonso III el Magno (٢٥٢ - ٢٩٦ هـ : ٨٦٦ - ٩٠٩ م) ، اذ تمكن هذا الملك الشديد المراس من فرض سيطرته على معظم حوض الدويوة ، بل انه بدأ يشن غارات تخريبية شديدة مقتحما المناطق الاسلامية فى حوض انتاجه ووادى آنة Rio Guadiana

وهكذا بدا للأمير محمد معاصر هذا الملك وغريمه أن الخط الدفاعى الواصل بين سرقسطة وطليلة لم يعد من المنعة بحيث كان ، فقد أصبح الخط النصرانى قريبا مباشرا ، وتحتمت تقوية مدن الثغر وحاطتها بنطاق جديد من القلاع والاهتمام بوسائل تموينها وامدادها . وعلى ضوء هذه الحقيقة ينبغى أن نفهم نص ابن حيان الذى سبق أن أوردناه والذى قال المؤرخ القرطبى فيه ان من آثار الأمير محمد الجميلة ومن مظاهر عنايته التامة بمصالح المسلمين والتهمم بشغورهم بناء حصن اشترش لغال مدينة سالم وبناء حصون طلمنكه ومجريط وبه فراطه لأهل طليلة . بل اننا نعرف عددا آخر من القلاع بناها على الأرجح الأمير نفسه فى هذه المنطقة الواقعة على سفوح جبال وادى الرمل الجنوبية ، مثل قنالش Canales وولوش Olmos وقلعة الحلفاء Calatalifa (١) (وهذه الأخيرة تحمل اسما عربيا كما نرى) .

ومن هنا نرى كيف انعكس تعمير العرب لهذه المنطقة التى تتوسطها مجريط على أسماء جبالها وأنهارها وقلاعها وبروجها وقراها ومنازلها . وسنذكر فيما يلى أمثلة على هذه الأسماء الجغرافية الواقعة على المواضع القريبة من مجريط وهى اما أسماء عربية خالصة أو مولدة من عناصر عربية ولاينية .

نجد أولا اسم « وادى الرمل » الذى يطلق على الجبال الواقعة فى شمال مجريط ، وكذلك على النهر الذى تقع المدينة عليه من

(١) أنظر يافوت الحموى : معجم البلدان تحت مواد المواضع المذكورة .

فروع وادى التاجه ، وقد ظل نهر مجريط يدعى بهذا الاسم العربى حتى القرن السادس عشر حينما بدأوا يدعونه بأسماء أخرى حتى استقروا على تسميته بنهر المانشانارس Manzanares نسبة الى القرية الواقعة فى منبعه والمدعوة بهذا الاسم ، ومعناه شجر التفاح لكثرة هذا الشجر فيها . أما اسم وادى الرمل فمازال يطلق حتى اليوم على فرع آخر من فروع نهر التاجه الى غرب مدريد .

ومن الفروع الأخرى لهذا النهر فى تلك المنطقة نهير وادى الحجارة الذى تقع عليه هذه المدينة ، ثم نهر Guadalix وهو اسم مركب يتألف من كلمة « وادى » العربية ، ولفظ آخر لم يتفق على تفسيره اللغويون بعد . وعلى هذا النهر تقع قرية صغيرة تحمل نفس هذا الاسم ، ويخرج من النهر المذكور فرع صغير يدعى Albala وهو مأخوذ من اللفظ العربى « البلاعة » (بمعنى الدوامة المائية) . وهناك فرعان آخران لنهر تاجه فى هذا الاقليم أولهما « شرنبة » Jarama الذى تقع عليه طلمنكة ، و Daralcalde (دار القاضى) و Vaciabotas وهى تتألف من كلمتى Vacia المحرفة عن لفظ «فحص» العربى و botas اللاتينية الأصل ، و Aldovea (الضويعة تصغير الضيعة) و Ambroz (عمروس ، وهو اشارة الى اسم علم) و Ajalvir (فيج البير) و Albir (البير) .

وأما الفرع الثانى فهو تاخوتيا Tajuña واسمه لاتينى الأصل ، غير أنه تقع عليه بعض القرى ذات الأسماء العربية مثل Valdaracete وهى كلمة مركبة من Val التى تعنى « وادى » باللاتينية ثم Daracete (دار زيد) .

أما وادى المانشانارس الذى كان يدعى قديما وادى الرمل والذى تقع عليه مجريط فنجد فيه كذلك عدة أسماء عربية منها Vaciamadrid (فحص مجريط) و Salmedina (فحص المدينة) ، وهناك ربوة

مرتفعة في مشارف جنوب مدريد مازالت تحمل حتى اليوم اسم
Almodovar (المدور) ، ويسهل على الرائي أن يطالعها من أى
مكان في العاصمة .

وتكثر الأسماء العربية بصورة واضحة على طول حوض النهر
الذى كان اسمه القديم «وادي الحجارة» والذى يدعى الآن Henares
وهو الذى تقع عليه مدينة وادي الحجارة وقلعة عبد السلام (التى
تدعى الآن Alcalá de Henares) و Azuqueca (الزقيقة -
تصغير الزقاق) و Alcolea (القليعة تصغير القلعة) - ...
مما يطول بنا الأمر لو أننا حاولنا استقصاء (١) .

أما فيما وراء جبال وادي الرمل الى الشمال فالملاحظ أننا نرى
نقلة مفاجئة ، اذ أن الأسماء العربية تقل فيها بصورة واضحة ،
وهذا أمر سهل التفسير اذ أن هذه الجبال كانت حدود المملكة
الاسلامية فى الأندلس طوال أيام خلافة بنى أمية وعصر الطوائف الى
أن اشتدت حركة الزحف النصراني وانتهى الصراع بسقوط طليطلة
فى سنة ٤٧٨ (١٠٨٥) .

على أن هذه المنطقة لا تخلو من أسماء قليلة نادرة توحى الينا
بنفوذ اللغة العربية . وقد كان من أهم هذه الأسماء التى تستحق
وقفة من فقه اللغة اسم موضع يقع الى الشمال الغربى من مدريد على
بعد نحو أربعين كيلومترا ، هو Alpedrete ، فهذا الاسم يحمل
عنصرا عربيا لا مجال للشك فيه هو أداة التعريف - Al ، أما
بقية اللفظ pedrete - فانها تتكون من لفظ لاتينى الأصل هو
petra الذى يعنى الحجر (بالاسبانية الحديثة piedra) ،

(١) فى نهاية هذا البحث قائمة بالأسماء ذات الأصل العربى فى المنطقة
المحيطة بمدريد .

ثم المقطع الأخير الذى تنتهى به الكلمة وهو ete - ، وقــد استقصى الأستاذ أوليفر اسين هذا المقطع فى أعلام جغرافية كثيرة فى اسبانيا فوجد أنه يتوارد بصور مختلفة أهمها النهاية it ، فرآه فى أعلام كثيرة فى الأندلس الاسلامية ، وكان الجغرافيون والمؤرخون العرب يكتبونه بهذه الصورة (سيط) نذكر من هذه المواضع :

فرغليط Forcollitas (فى جبال شقورة ، من أعمال جيان)
قنيط Canete (من أعمال مالقة) وادى سليط
Guadacele.e (من أعمال طليطلة) مسنيط Massanet (قلعة
قريبة من لوشة من أعمال غرناطة) القرضييط Alcardete (من
أعمال طليطلة)

وتتبع هذه الأنفاط - وأمثالها كثير على طول جغرافية اسبانيا وعرضها - ينتهى بنا الى التسليم بصحة الرأى الذى كان العالم الاثرى الاسبانى جومث مورينو أول من نبه اليه ، وهو أن هذه النهاية t . - وما شابهها تدل دائما على التكثر ، وأغلب الظن أن هذه النهاية آتية من المقطع اللاتينى eium - الذى يعنى التكثر أيضا فهي أشبه ماتكون فى العربية بصيغة « مفعلة » التى نرى من أمثلتها « مسبعة » أى أرض كثيرة السباع ، و « مذابة » أى كثيرة الذئاب .

ففى الكلمات التى سبق أن أوردناها نجد أنها كانت دائما تتضمن معنى التكثر ، وفرغليط هى تحريف الكلمة اللاتينية Fragoletum أى المكان الذى يكثر فيه ثمر الكريز (الذى يسمى Fragula) ، وقنيط هى اللاتينية cannetum أى المكان الذى يكثر فيه القصب (canna) ووادى سليط ، معناه الوادى الذى يكثر فيه الملح (salitus) ، ومسنيط هو المكان الذى

يكثر فيه التفاح (بالقشتالية القديمة massana وبالحدیثة manzana) ، والقرضیط هو الموضع هو الذى يكثر فيه نبات شوكى كان الأندلسيون يعرفونه باسم القرضیل ، ويسمى اليوم cardillo ، والاسم آت من اللاتينية Cardethum

وكلمة Alpedreze التى أشرنا إليها فى أول هذا الحديث تنتمى بغير شك الى هذه المجموعة ، ولعلها كانت تكتب بالعربية « البطريط » ، ومعناها المكان الذى تكثر فيه الحجارة (Petra) ، وهى كذلك فى الواقع اذ أنها تقع فى موضع صخرى تقطع منه الأحجار اللازمة فى مباني العاصمة .

فاذا سلمنا بأن النهاية (يـ ط) التى نراها فى آخر لفظ «مجریط» من هذا النوع أى تدل على التكثر فإنه يبقى علينا أن نعرف مايدل عليه المقطع الأول «مجر» .



«مجرط».. مدينة منسأة على الماء

من الجمل الشائعة التى يمكن للمرء أن يسمعها من أهل مدريد حتى اليوم قولهم أن مدينتهم قد أنشئت على بحر من الماء * بل اننا نرى مؤلفا مسرحيا هو خوان رويث دى الاركون يقول فى إحدى مسرحياته أن مدريد تفضل البندقية فى كثرة مياهها *

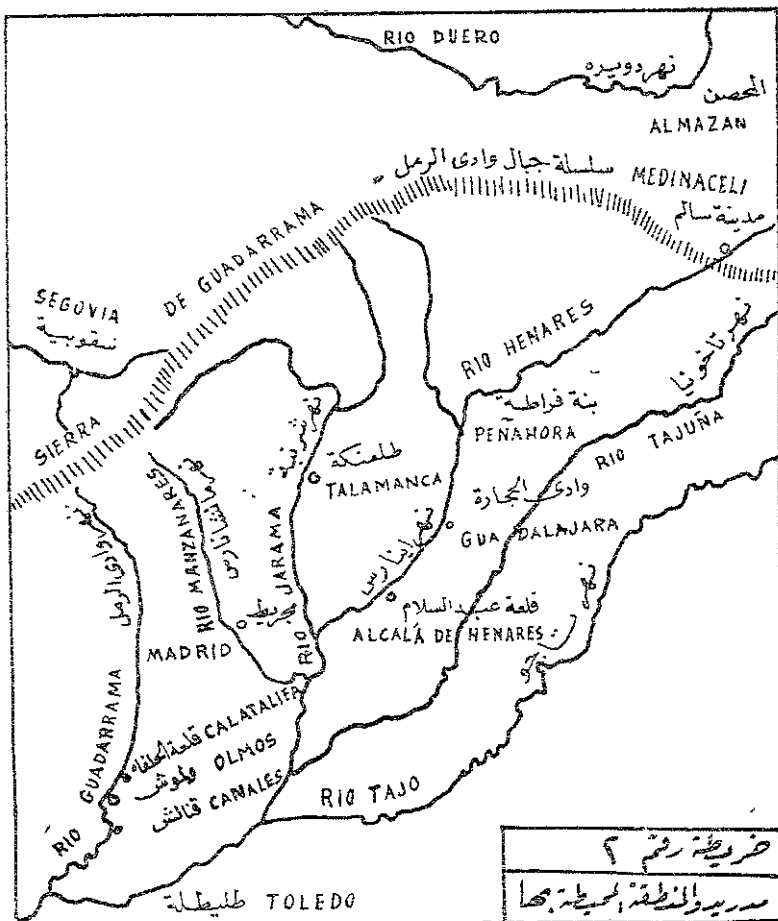
والحاح أهل مدريد منذ أن أنشئت على هذه الاشارات الى وفرة المياه فى بلدهم يستحق وقفة متأملة . من أين لمريد هذا الماء ؟ بينما نعرف أن النهر القريب منها وهو المانثانارس (الذى كان يدعى وادى الرمل قديما) ليس الا نهرا صغيرا ضيقا كان دائما مثار سخرية الناس حتى اليوم * فنحن نرى الشاعر والمسرحى الاسباني العظيم لوبي دى فيجالا Lope de Vega وهو من أهل مدريد يقول عنه متوجها بالحطاب الى بعض رجالاتها وكبرائها :

« انه لأمر مفض مهين

جدير بأن تغسل عنا غاره :

أن يكون نهر المانثانارس قريبا منا

وأن يتوقف الماء عندنا على شهر أبريل » *



مديرية والمنطقة المحيطة بها . ومبها يتبين موقع مدريد على السفوح الجنوبية لسلسلة جبال وادي الرمل . أى فى منطقة الشغور بين الأنالس الإسلامية وإسبانيا المسيحية . وهذا هو السبب الذى من أجله أنشأ الأمير محمد بن عبد الرحمن سلسلة من القلاع الحصينة لتعزيز خطوط الدفاع الإسلامية ممتدة بين طليطلة (الشجر الأدنى) ومدينة سالم (الشجر الأوسط) وهى من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى : قنالش ، ولموش ، قلعة الخلفاء . مجريط (مدريد) ، طلمنكة . بنة فراطة . هذا فضلا عن الاهتمام بالمدن القائمة من قبل فى هذه المنطقة مثل طليطلة ووادي الحجارة وقلعة عبد السلام ومدينة سالم .

ويعنى لوبى بذلك أن نهر المانثانارس لا يكاد يغني شيئا في امداد مدريد بالماء ، فهي تتوقف على شهر أبريل وهو موسم المطر وان كان يجوارها نهر محسوب عليها . وكثيرا ما يسخر الناس اليوم من هذا النهر المتواضع ، فيقولون عنه ان له فضلا على سائر أنهار الدنيا اذ يمكن للناس عبوره بكل طرق المواصلات الممكنة : على ظهر مطية أو حتى سيرا على الأقدام ، مشيرين بذلك الى جفافه في معظم أوقات السنة .

وهنا نرى أنفُسنا أمام مشكلة جديدة بالنظر : ان مدريد أو مجريط مدينة محدثة أنشأها العرب لكي يسدوا بها حاجة استراتيجية ماسة للثغور الاسلامية المتاخمة للنصارى ، وسرعان ما اتسعت القلعة العربية حتى أصبحت « مدينة شريفة » كما يصفها سائر الجغرافيين العرب ، بل اننا نرى من وصفهم لها أنها كانت مدينة تحفها الحُضرة وتكتنفها الزروع والأشجار وتكثر من حولها الحدائق والجنات منبسطة تحت أقدام أسوارها ، والذي يتأمل نهر المانثانارس المتواضع يوقن بأنه لا يمكن أن يكون هو الذى يتأمل نهر المدينة بما هى فى حاجة اليه من مياه ، فكيف حل العرب مشكلة الماء فى مجريط ؟ ومن أين أتوا اليها بما كان كفيلا بأن يحولها الى بلد استطاع بعد فترة من الزمن أن يصبح هو عاصمة اسبانيا كلها ؟

الواقع أن مجريط لم تكن المدينة الأولى التى يلتقى فيها العرب بمثل هذه المشكلة ويوقفون الى حلها ، بل سبقتها فى المشرق والمغرب مدن أخرى مشابهة . وكان المخرج من هذه الصعوبة هو أن يبحث منشئو المدينة فى جوف الأرض عن مياه يمكن أن تسد حاجة السكان مادامت المياه على سطح الأرض قليلة لا تفي بالمطلوب .

أما استخراج هذه المياه الجوفية فكان يتم بطريقتين : الأولى تقوم على استنباطه من باطن الأرض بآلات رافعة تشبه السواقي

التي يستخدمها الفلاحون في مصر ، وهي طريقة استخدمها عرب الأندلس بكثرة ، وكانوا يطلقون على هذه الآلات اسم «النواعير» جمع «ناعورة» ، وقد نقلها عنهم نصارى اسبانيا ، ويدل على ذلك أن اللفظ المستخدم في الاسبانية للتعبير عن هذه الآلة وهو noria مأخوذ عن ذلك اللفظ العربي ، والوعاء الذي يستخدم في تلقي الماء من جوف الأرض وصبه على سطحها يسمى في العربية « القادوس » ، وهذا اللفظ بدوره قد انتقل الى الاسبانية في صورة arcaduz .

وقد كانت « النواعير » شائعة في مدريد شيوعها في كل مدن الأندلس الإسلامية وقراها ، وكانت أكثر ما يميز العاصمة الاسبانية حتى منتصف القرن الماضي . ومازال الناس يذكرون هناك عددا منها أشهرها التي كانت موجودة في حديقة النباتات في متنزه مدريد الكبير الذي يسمى « ال ريترو El Retiro » . وفي فحوص المدينة الذي يسمى الآن Casa de Campo ، وبجوار « باب قشتالة Puerta de Castilla » حيث كانت هناك ناعورتان ضخمتان كل منهما تدر من الماء ما يكفي لرى ثمانين فنيقا من الأرض . ويرجع الى هذه النواعير جانب من الفضل في كثرة الحدائق والحضرة في مدريد .

أما الطريقة الأخرى فقد كانت اقامة شبكة من المجارى أو القنوات الجوفية تمتد تحت أرض المدينة وتسد حاجات منازلها من الماء بنسبة مقدرة معلومة . وهذه الطريقة هي التي كانت أكثر استخداما في مدريد ، وذلك لأن النواعير تصلح لرفع الماء اذا كان على مسافة قليلة العمق من سطح الأرض . أما حيث يوجد الماء على عمق شديد فانها لاتأتى بالنتيجة المرجوة فضلا عن صعوبة تطبيقها . وتتلخص هذه الطريقة في اختيار مكان قريب من المدينة يرتفع مستوى الأرض فيه على سطحها فيها ، ثم العمل على حفر

عدد من الآبار المتقاربة فيما بينها ، والتوصيل بعد ذلك بين هذه الآبار بمجارى جوفية تبني دائما من الطوب الأحمر ، وتكون من السعة والارتفاع بحيث تسع قامة رجل يمكنه المشي فيها . وفي قاع هذه المجارى توجد تلك القنوات المصنوعة من الفخار والتي تحمل الماء بين الآبار المذكورة ، ويراعى فيها أن تكون على انحدار خفيف متجهة نحو المدينة ، وهناك تحفر فى باطن الأرض تحت منازل المدينة شبكة من المجارى تتفرع على الأحياء والمنازل وعلى النوافير والحدائق والمتنزهات العامة .

.

.

.

.

.

.

سوابح ايراسية لدريد

وهذه الطريقة التي ظلت مستخدمة في مدريد منذ انشائها حتى منتصف القرن الماضي - حينما بدأ تطبيق نظام جديد هو الاتيان بالماء من بحيرة صناعية قرب جبل وادى الرمل الى المدينة عن طريق القناة التي تدعى باسم « ايزابيل الثانية Canal de Isabel II » - هي نفسها التي استخدمها المسلمون في مدن أخرى في المشرق والمغرب على السواء.

١ - ومن أول هذه المدن تلك القائمة على الهضاب الشرقية المقفرة في ايران ، مثل نيسابور التي وصل فيها نظام شبكة القنوات الجوفية حدا عظيما من الاتقان أثنى عليه الرحالة القدامى والزائرون المحدثون ، وقد أشار اليه اليعقوبي والمقدسي في اعجاب كبير . وقد أصبحت هذه المدينة بفضل ذلك النظام مشرقة نضرة تحف بها الحدائق والجنان ، ويذكر بعض زائريها أن الماء في بعض أنحائها على عمق هائل من سطح الأرض بحيث لا يوصل اليه الا بنزول سراديب تبلغ سلالم درجها سبعين سلمة . وقد بلغ من شهرة هذه الشبكة المائية في نيسابور أن ظريفا من الشعراء هجاها فقال انه كان من الخير أن تعكس الآية فيها : فيسيح على وجهها الماء المتدفق تحت سطح الأرض ، وأن يدفن في جوفها الناس الذين يسعون على ظهرها .

٢ - وفي مرو نجد هذا النظام أيضا ، وقد بلغ من احكامه
فى هذه المدينة الفارسية أنه كان فيها مجلس يقوم بتوزيع الماء على
أحيائها ومنازلها وكان يدعى «ديوان الماء» ، وله رئيس يخضع له
عشرة آلاف عامل كان من بينهم أربعمئة مهمتهم السهر على القنوات
الجوفية بالتناوب ليلا ونهارا . وكان لدى هؤلاء ميزان للماء يقيسون
بها الكميات المعينة للأحياء والمنازل .

٣ - وفى الجزيرة العربية عرف هذا النظام أيضا : فى الحجاز
واليمن ، وكانت هذه المجارى المائية تسمى « الكظامة » (من كظم
الماء أى حبسه) والفقر (من فقر الماء أى فجره وبثقه) . وقد وصفه
لنا اللغويان الأصمعى وأبو عبيدة معمر بن المثنى وصفا يتفق مع
ما ذكرناه (١) .

٤ - وانتقل هذا النظام من مشرق العالم الاسلامى الى مغربه
فقد عرف فى تونس وفى الواحات الموجودة فى جنوب الجزائر ،
وكانت القنوات الجوفية تعرف هناك باسم « الفقارة » وقد عثر
أخيرا على آثار لهذه القنوات فى واحة سدراتة على بعد ٨٠٠ كيلو
متر الى جنوب مدينة الجزائر . وكانت سدراتة بفضل ذلك النظام
المائى مدينة عامرة أهلة خلال القرنين العاشر والحادى عشر
الميلاديين ، وتدل الأبحاث والحفائر التى أجريت هناك على أن الماء
الجوفى كان يوجد على عمق يصل فى بعض الأحيان الى سستين
مترا .

٥ - وفى المغرب الأقصى أيضا وجد هذا النظام ، نراه فى
تافيلالت وفى مدينة مراکش . وأن كان الاسم المستخدم للدلالة

(١) انظر لسان العرب ، مادتي كظم وفقر ، ونجد هناك تعريف الكظامة
مثلا بأنها واحدة الكظام وهو آبار تحفر فى بطن واد متباعدة ويحرق ما بين بشرين
بقناة يجرى فيها الماء من بئر الى بئر .

على القناة الجوفية هناك هو لفظ « الخطارة » مشتقا من الخطر « بسكون الطاء » بمعنى اهتزاز الماء وتذبذبه ، وهو لفظ نراه أيضا مستخدما في الأندلس وقد وصفه لنا الجغرافى الأدريسى بالتفصيل فى « نزهة المشتاق » (١) ، وكان مما ذكره فى الكلام عن مدينة مراكش أن الذى ابتكر هذا النظام مهندس يدعى عبد الله بن يونس قدم الى المدينة بعد أنشائها بقليل ، ولم يكن فيها فى ذلك الوقت إلا جنة لأبى الفضل مولى أمير المسلمين السلطان المرابطى على بن يوسف بن تاشفين (تولى الحكم بين سنتى ٥٠٠ هـ و ٥٣٧ هـ - ١١٠٧ - ١١٤٣ م) إذ أن أهل مراكش لم يكونوا يعتمدون فى السقيا إلا على الآبار البسيطة . ويظهر أن ابن يونس فام بدراسة طبقات الأرض هناك ، وتوصل بعد البحث والتنقيب الى ابتكار طريقة المجارى الجوفية فتوجه الى طرف من أطراف المدينة يعلو فيه مستوى الأرض على مثله فى داخلها ، ثم حفر فيها بئرا كبيرة ثم أوصل من قاعها قنوات تسير تحت الأرض فى انحدار حتى توصل الماء الى مختلف أحيائها قريبا من سطح الأرض . ويذكر الأدريسى أن السلطان المرابطى أعجب بهذا الابتكار وأغدق على صاحبه عطايه وصلاته ، وأن أهل المدينة سارعوا الى بناء قنوات أخرى تستمد من تلك القناة « الأم » التى أنشأها عبد الله بن يونس ، وهكذا اتسع عمران مراكش واكتنفتها الخضرة والحدائق ، وأصبحت قاعدة الدولتين المرابطية والموحدية وواحدة من أعظم مدن الغرب الإسلامى كله . والواقع أن متأمل كتب الجغرافية والرحلات لم يكن يتمالك الدهشة والاستغراب إزاء ما يصفون به مراكش من التمدن والعمران واتساع الزروع وكثرة الماء والشجر والتمر فيها إذ أنها مدينة لا تقع على نهر كبير ولا تكاد السماء تمطر فيها إلا قليلا

(١) نزهة المشتاق ، نشر وترجمة راينهايت دوزى ودى خويه ص ٦٨ من النص

و ٧٨ من الترجمة .

ومع ذلك فقد كانت أشبه بواحة خضراء فى وسط صحراء جرداء مقفرة ولكن الإدريسى فى نصه الذى أشرنا اليه استطاع أن يكشف لنا سر هذه المدينة التى مازالت تعتبر من أجمل مدن المغرب وأكثرها إشراقا ونضرة . وكان السر فى هذا الماء الذى عرف المهندس العبقري ابن يونس كيف يولده من باطن أرضها .

ومازالت هذه الشبكة الواسعة من القنوات الجوفية باقية فى مدينة مراكش ، ويبلغ عددها نحو ٣٥٠ قناة يصل طول كل منها الى نحو خمسة كيلو مترات ، على أن الاهمال قد لحقها أخيرا وبطل استعمال عدد منها .

ويلوح أن المهندس الذى ابتكر نظام الخطارات كما ذكر الإدريسى وغيره من الجغرافيين فى مراكش كان أندلسى الأصل ، ولندكر أن السلطان المرابطى على بن يوسف نفسه كان على الأرجح من أم أندلسية وفى الأندلس قضى صباه وشبابه وتربى فى كنف علماء هذه البلاد ، وكان كثيرا ما يكل أمور دولته الى الأندلسيين (١) ، ولا سيما فيما يتعلق بالأعمال الانشائية الكبرى . وقد نص الإدريسى على أن مهندسين من الأندلس كانوا هم الذين تولوا انشاء القنطرة العظيمة القائمة على نهر تانسيفت ، وهى قنطرة أكثر الإدريسى من اطرائها والتمدح بصنعتها ، ولهذا فليس من الغريب أن يكون ابن يونس قد قدم الى المغرب من الأندلس ، بل ربما كان مجربيا أو من سكان هذه المنطقة التى تدل كل القرائن على أن المسلمين الأندلسيين قد استخدموا فيها نظام قنوات المياه الجوفية .

٦ - أما فى اسبانيا ففضلا عن مجربط التى سنفصل الحديث عن هذا النظام فيها فاننا نجده حتى الآن مستخدما فى جزر

(١) انظر بحثنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » - صحيفه معهد الدراسات الاسلاميه بمطريد سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ١٢١ - ١٢٢ .

السعادة أو الجزائر الخالدات (المعروفة اليوم باسم جزر كنارياس) وهي كما نعرف تطل على سواحل المغرب الأقصى ، وأغلب الظن أنها انتقلت إليها من هناك قبل الفتح الاسباني لهذه الجزر في القرن الخامس عشر . وقد نص على شيوع هذا النظام فيها القس خوسيه دى سوسا José de Sosa في كتابه عن « طبوغرافية جزيرة كنارياس الكبرى » ووصف لنا هذه القنوات الجوفية وصفا يتفق تماما مع ما يذكره الأدريسى في حديثه عن مراكش (١) .

٧ - وأخيرا يذكر السيرس . بيكر في كتابه « قبرص كما عرفت في سنة ١٨٧٩ » أن هذا النظام نفسه كان هو المتبع في قبرص (٢) ولا شك في أنه انتقل إليها من بلاد الشرق الاسلامي التي أحكمته وأتقنته الى أبعد مدى .

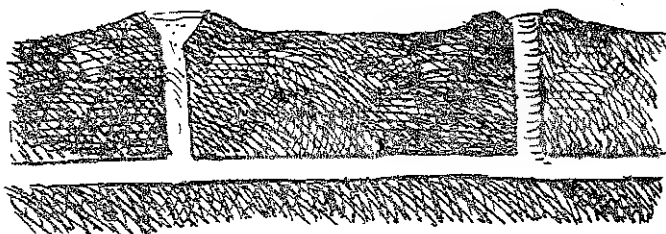
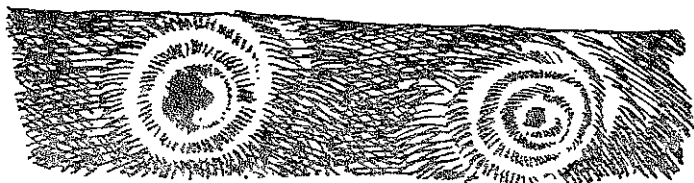
(١) انظر خيمه أوليفر أسيتي : تاريخ اسم مدريد ص ٨٩ .

(٢) نقل ذلك روبنز في كتابه « قصة استنباط المياه والامداد بها »
F.W. Robins, The Story of Water Supply. Oxford, University Press, 1946, PP. 116-118.



نظام المجارى الجوفية في مدريد

غير أن الغريب هو أنه لم يظن أحد ممن توفروا على دراسة هذا النظام في المشرق أو المغرب إلى أنه هو الذى استخدم على أوسع نطاق وأحكمه فى مدريد ، إذ أن العاصمة الإسبانية تدين بفضل سقياها وريها بل بحياتها كلها إلى هذا النظام المبتكر الذى عرف العرب كيف يتقدمون به تقدما عظيما جديرا بالاعجاب . أما عن نسبته إلى المسلمين مؤسسى مجرى وخالقيها فأمر لا يمكن أن يكون فيه أدنى شك ، وأن كان بعض من عرفوه من مؤرخى مدريد قد حاولوا نسبته إلى الإغريق أو الرومان غير أن ذلك لا تشهد به السوابق التاريخية ، فالإغريق والرومان لم يكن لهم أبدا تفوق ولا خبرة بهذا النظام ، صحيح أن الرومان برعوا فى بناء مجارى ضخمة رفعوها على قواعد هائلة من الصخر ولكن مجاريهم كانت من النوع الظاهر على سطح الأرض ، وأروع مثل لهذه المجارى هى التى نرى آثارها حتى الآن فى مدينة قريبة من مدريد فيما وراء جبال وادى الرمل هى شقوبية Segovia ، غير أن الرومان لم يكن لهم قط تمرس بأمثال تلك القنوات الجوفية المحفورة فى باطن الأرض مما يسهل معه القطع بأن تلك التى نراها فى مدريد تدين بفضل انشائها إلى العرب كما تدين لهم المدينة نفسها بوجودها .



نظام المجارى الجوفية

يمثل هذا الرسم الطريقة التى ابتكرها العرب لاستنباط المياه الجوفية من باطن أرض مجريط ، وهى التى طبقوها من قبل فى كثير من المدن الشرقية . وتقوم على أساس حصر مجموعة من الآبار فى المناطق الغنية بالمياه الجوفية ، ثم التوصيل بين فيعان هذه الآبار بقنوات نجرى تحت سطح الأرض وتتألف منها شبكة كبيرة معقدة توزع المياه على أحياء المدينة وما حولها بتقدير نظم معلوم . ويرى فى الشكل الأول قطاع طولى لهيئة هذه الآبار ، وفى الثانى قطاع أفقى لاثنتين منها . وفى الشكل الثالث قطاع طولى آخر أكثر تفصيلا من الأول .

وأنا أدين بهذه الصور وبالخرطتين التاليتين لكتاب صديقى الكريم الأستاذ خايه أولفر أسين : تاريخ اسم مدريد (اللوحان ٥ ، ٣١)

وقد كان مؤرخ مدريد خايمة أوليفر أسين الذى أشرنا اليه مرات عديدة فى ثنايا هذا البحث هو الذى أولى هذه المجارى الجوفية اهتماما خاصا ودرسها دراسة علمية فاحصة ، ورجع فيها الى كتب قدم بها العهد ترجع الى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ثم جاب هذه المجارى وطالعا على الطبيعة برفقة بعض المهندسين المتخصصين وعمال المجارى الذين توارثوا هذه المهنة أبا عن جد ، ثم أمدنا بعد ذلك عنها ببيان مسهب مستفيض .

وتطلعنا الأبحاث التى أجراها الأستاذ أوليفر أسين على حقيقة طبيعة الأرض فى مدريد ، فهذه الهضبة المنبسطة التى تقوم عليها المدينة تتألف من طبقتين أرضيتين : الأولى والعليا أرض رملية تشرب الماء تليها من أسفل طبقة أخرى من طين أحمر يضرب الى الصفرة مصمت لايمتص الماء ، ومن تحت هذه الطبقة توجد مياه غزيرة عذبة .

ولابدأن العرب بمقتضى خبرتهم فى استخراج هذه المياه الباطنة عن طريق المجارى الجوفية قد بدأوا بهذه الأبحاث « الجيولوجية » فى أرض مجريط ، واكتشفوا هذه الثروة المائية الهائلة التى تحتفظ به المدينة فى باطن الأرض ، وهكذا طبقوا فيها ما كانوا يعرفونه من تلك النظم التى نقلوها من الشرق الاسلامى .

وتتجلى مقدرة المهندسين المسلمين فى التمكن من حساب العمق الذى توجد عليه تلك المياه الجوفية ثم حفر آبار تصل اليه والتوصيل بعد ذلك بين هذه الآبار بقنوات يراعى فيها أن تحفر فى الطبقة الأرضية التى لا تمتص الماء وأن تكون منحدره انحدارا خفيفا يسمح بأجراء الماء بغير توقف ، وقد كانت هذه القنوات تصنع من فخار مدريد نفسها ، وهو فخار ممتاز نوه الجغرافيون العرب أنفسهم بأنه

من أجود ما يعرف من الأنواع ، اذ هو مصمت لا يتشرب السوائل
قوى متماسك لامع يشبه الخزف (١) .

ويكون حفر تلك الآبار فى مواضع مرتفعة عن مستوى المدينة
وفى ضواحيها الخارجة عنها ، أما القنوات الجوفية فتتجه مقتربة من
المدينة ، وهى تتألف أولا من قناة ضخمة تعتبر هى « الأم » ومنها
تتفرع فى داخل المدينة شبكة معقدة من قنوات صغار فرعية . وفى
كل « عقدة » يتجمع عندها عدد من تلك الفروع يقام خزان أو مستودع
يجتهد فى حمايته ووقايته بالطوب والفخار ، وهذه الخزانات هى التى
يتحكم منها المهندسون والخبراء فى توزيع الماء توزيعا عادلا بين
الأحياء والمنازل والحدائق العامة والخاصة ، وتبنى عليها صهاريج مقفلة
بأبواب وقضبان من الحديد ولا يسمح بدخولها الا « للقنواتى » الذى
يوكل اليه الصهرج ويكون مسئولا عنه ، ويحتفظ بمفتاحه وهناك
صهاريج عامة فى الشوارع لسقيا الناس والبيوت ، وتكون أحيانا
على ظهر الأرض وأحيانا أخرى فى باطن الأرض ، اذا كانت القناة
التى تمده على عمق شديد ، وحينئذ لا يوصل اليها الا بسلاسل تصل
فى بعض الأحيان إلى نحو ستين درجة .

ويلاحظ أن الآبار الأولى التى حفرت لكى تمتد منها هذه الشبكة
من المجارى الجوفية تقع الى شرق مدريد وشمالها : مسابرة للطريقين
الذين يربطان مدريد بضاحيتي فوينكارال Fuencarral وتشامارتين

(١) ورد فى مخطوطة عنوانها « ذكر بلاد الأندلس وفضلها وصفتها وذكر
أصقاعها » مخطوطة بالخرانة العامة بالرباط ما يلى فى وصف مجريط : « وبها مربه
عظيمة تصنع منها القدور وتستعمل للطبخ عشرين سنة وما تتغير أصلا ، تصم
الاطعمة من التغير فى أيام الصيف » . (ورقة ٦٩ - ٧٠ ويقوم الدكتور حسين
مؤنس الآن بدراسة هذه المخطوطة واعدادها للنشر) . هذا وقد أشار الى تـ
مجرط المذكورة أيضا ابن عبد المنعم الحميرى فى الروض المظار « ص ١٨٠ »

Chamartin (١) الى الشمال ويقلعة عبد السلام العربية التى تسمى الآن Alcala de Henares على وادى ثرنية . وهذه المواضع كانت تبعد عن وسط المدينة عند تأسيسها على أيدي المسلمين بما يتراوح بين سبعة واثني عشر من الكيلومترات . أما الفرق بين سطح الأرض عند الآبار الأولى التى تولد فيها القنوات الجوفية وسطحها فى وسط المدينة فيتراوح بين ثمانين ومائة متر تقطعها القنوات فى انحدار متدرج يسمح بأنصباب الماء .

وليس من السهل تقدير عدد القنوات التى توجد فى باطن أرض مدريد الآن ، فكثير منها بنى فى عصور مختلفة ولخدمة مختلف المباني : الملكية والأديرة والبيوت الخاصة . وقد استخدم بعضها فى العصور الحديثة لصرف مياه المجارى أو للأسلاك الكهربائية ولغير ذلك من المنافع .

ويدل تأمل هذه القنوات على أن أقدمها من الناحية التاريخية هى تلك التى تخترق مدريد القديمة ، بل على وجه التحديد الجزء الذى نعرف يقينا أنه كانت تقوم عليه مجرىط العربية ، مما يزيدنا تأكداً من أن العرب كانوا هم مبتكرى ذلك النظام الهندسى المائى .

صحيح أن المؤرخين والجغرافيين المسلمين لم يحدثونا عن هذا النظام فى أثناء كلامهم عن مجرىط ، ولكن ذلك ليس غريباً إذا

(٢) هذه الضاحية هى المشهورة اليوم بمنصب كرة القدم الضخم (مسعة ١٢٠.٠٠٠ مترج) الذى يملكه نادى « ريال مدريد » ومن الطريف أن نذكر أنه كاتب فى موضعه حديقة كبيرة يحمل اسم Mahudes ، وهو اسم دلت دراسته اللغوية على أنه تحريف لاسم « محمود » الذى كان شاعراً فى الإندلس بين البربر والمستعربين . ولاشك فى أن هذه الحديقة كانت ضيعة أو افطاما لرجل يحمل هذا الاسم قد يكون أحد ساكنى مجرىط العربية من المسلمين .

قدرنا أن ما احتفظت به لنا المراجع العربية عن تلك المدينة لم يكن يتجاوز بضعة سطور . على أننا نجد أخبارا عن هذه القنوات الجوفية في مدريد ابتداء من سنة ١٢٠٢ أى بعد سقوطها في أيدي النصارى بنحو قرن من الزمان ، فنحن نجد في القانون البلدى الذى أصدرته سلطات مدريد فى هذه السنة نصا على تحريم القاء الأقدار فى تلك القنوات : « والذى يقوم بغسل أمعاء الحيوانات المذبوحة فى قناة سان بدرو (الواقعة فى مدريد القديمة) معرض لأن توقع عليه غرامة تبلغ ثمن دينار مرابطى» (١) ، وذلك لأن هذه القنوات لم تكن مجارى لتصريف المياه ، بل هى عماد أهل مدريد فى الشرب والسقيا ، ولهذا فقد كانت السلطات تهتم بالمحافظة على نظافتها وسلامتها .

وقد زادت العناية بتلك القنوات خلال القرن السادس عشر ولاسيما فى السنوات التى كان يتولى عرش اسبانيا أثناءها فيليب الثانى (بين سنتى ١٥٥٨ و ١٥٩٠) ، ولا سيما بعد أن أصبحت هى عاصمة اسبانيا منذ سنة ١٥٦١ ، إذ لم تكن مثل هذه الخطوة لتتخذ الا اذا كانت موارد المياه مضمونة ميسرة .

وقد حاول فيليب الثالث الذى حكم بين سنتى ١٥٩٨ و ١٦٢١ أن ينقل عاصمة اسبانيا الى (بلد الوليد) ، ولعل ذلك كان بتأثير مستشاريه الذين أقنعوه بأن بلد الوليد Valladolid أحق بهذه المكانة إذ أنها تقع على نهر كبير يسهل الاستقاء منه ، وبالفعل

(١) من الطريف أن نسجل بهذه المناسبة أن العملة الإسلامية التى كانت متداولة فى الأندلس فى عهد المرابطين كانت هى التى تتخذ أساسا للمعاملات فى اسبانيا المسيحية ، ومن هنا نرى استخدام لفظ الدينسار المرابطى (بالاسبانية Morabetino أو Maravedi) فى الوثائق النصرانية . وهذا دليل آخر على مدى عمق النفوذ الإسلامى فى أوضاع اسبانيا . إذ ظل استعمال اصلاح « الدينسار المرابطى » بعد أن انقرضت دولة المرابطين فى الأندلس بوقت طويل وبعد أن اشتدت شوكة الملكة المسيحية فى اسبانيا الى حد كبير .

تبوات هذه المدينة القشتالية ذلك المركز فى سنة ١٦٠١ ، ولكن الدعاة الى أن تكون مدريد هى العاصمة انتصروا أخيرا ، فعدل الملك عن رأيه فى سنة ١٦١٧ وعادت قاعدة الملك الى مدريد ولم تنتقل منها حتى اليوم .

وفى خلال القرن السابع عشر زاد عمران مدريد بفضل الاستكثار من تلك القنوات الجوفية وتوسيع شبكتها مما ترتب عليه إيصال الماء الى مختلف ضواحيها وأطرافها ، وأن كان تزايد السكان فى العاصمة الجديدة والاكثر من البناء فيها بلغ من السرعة بحيث لم تستطع القنوات الجديدة المحفورة أن تلاحق الحركة العمرانية ، وحينئذ بدأنا نسمع عن أزمة الماء فى مدريد ، وعن شكوى الشعراء والأدباء من قلة الماء فيها . غير أن هذه الأزمة كانت عارضة اذ تمكن الخبراء والمهندسون المديريون الذين كانوا يتوارثون تلك المهنة أباً عن جد أن يتداركوا الأزمة وأن يمدوا مزيداً من القنوات الجديدة فى باطن أرض العاصمة .

وهكذا استمر الأمر حتى القرن التاسع عشر ، وظلت عاصمة إسبانيا تعتمد فى ماء شربها وفى حدائقها والسهول المزروعة فى ضواحيها على ذلك الماء الجوفى . ولكن العمران ظل يتزايد على صورة لم يعد معه من الممكن أن تفى تلك الشبكة المائية بحاجات أهل العاصمة . وهنا تعين على سلطات المدينة أن تبحث عن حل جديد ، واقترح البعض أن تشق قناة من نهر ثرنبة القريب الى مدريد ، ووصل الأمر الى حد التفكير فى نقل العاصمة الى بلد آخر . ولكن الحل أتى أخيراً على يدي مهندسين قديرين هما : رافو Rafo وريبيرا Ribera اللذان استطاعا أن يبتكرا نظاماً جديداً لثلاثين بمياء الأمطار الغزيرة من جبال وادى الرمل الى

مدريد عبر القنطرة التى تحمل اليوم اسم « إيزابيل الثانية
Canal de Isabel II » ، وتم تنفيذ ذلك المشروع تحت إشراف
برافو موريلىو Bravo Murillo فى سنة ١٨٤٥ .

وهكذا تنتهى قصة هذه المجارى الجوفية التى دانت لها
مدريد بحياتها منذ ابتكرها العرب عند إنشاء المدينة حتى منتصف
القرن الماضى ، وإلى هذه المجارى يرد الفضل فى كون مدريد قد
أصبحت عاصمة إسبانيا كلها خلال القرون الأربعة الماضية ...
من سنة ١٥٦١ إلى اليوم .

”مجريط“ اسم عربي ونهاية اُسبانية

رأينا في الصفحات السابقة كيف كانت مدريد مدينة عربية وكيف كان سر وجودها وعمرائها ووصولها الى المكانة التي تحتلها اليوم باعتبارها عاصمة اُسبانيا وواحدة من أجمل المدن الأوروبية الكبرى وأعظمها - راجعا الى ذلك النظام الذي كان العرب أول من أدخلوه الى الأندلس .
فهل يعنى ذلك شيئا بالنسبة الى تلك المسألة التي طال فيها خلاف الباحثين : مسألة أصل اسم مدريد ؟

ربما لم يعد الاهتداء الى حل المسألة عسيرا بعد ما أسلفناه من حديث . فالاسم الذي أطلقه العرب على عاصمة اُسبانيا المستقبلية فيه خلاصة تاريخ المدينة ، وإشارة الى أهم الخصائص التي ميزتها عن غيرها من المدن والتي كانت للمدينة بمثابة الروح للجسد .

وقد كان منشئو مدريد أو مجريط من العرب ومن ساكنهم من الأُسبان المستعربين عميقى الشعور بهذه الحقيقة ، ولهذا فقد أرادوا أن يسجلوها فى ذلك الاسم الذى منحوه للمدينة : مجريط .

فهذه الكلمة تتألف من لفظ عربى خالص « مجرى » أضيق
اليه مقطع نهائى من اللاتينية الدارجة (-يط) ، الذى يدل على
التكثير كما سبق أن فصلنا ، فمعنى الكلمة اذن « المدينة التى
تكثر فيها المجارى » ، والاشارة هنا الى المجارى أو القنوات
الجوفية التى كانت تحمل الماء الى سكان المدينة وبيوتها وحدائقها
وزروعها وحماماتها .

ونحن نرى فى هذا اللفظ نفسه صورة لحياة الأندلس التى
امتزجت فيها العناصر العربية الاسبانية امتزاجاً وثيقاً لا انفصام
فيه . وكون العرب يستخدمون فى كلامهم عناصر مأخوذة من
اللاتينية الاسبانية أمر شائع مؤكد ، فقد كانوا يتكلمون لغة هى
صورة صادقة لذلك المجتمع الأندلسى المولد .

وما أكثر ما نجد فى النصوص الأندلسية كلمات لاتينية دارجة
مما كان المؤلفون العرب يدعونه « لطينية الأندلس » ، أو كلمات
عربية أدخلت عليها نهايات اسبانية مثل كلمة « سمراء » العربية
التي يلحقون بها النهاية الدالة على التصغير ، وهى ella ،
فتصبح الكلمة samarella أى « سمراء » هو لفظ نجده
وأمثاله يتردد كثيراً فى الموشحات والأزجال الأندلسية ، أو لفظ
« فرن » العربى يلحقون به النهاية ero الدالة على المشتغل
بالمهنة فيتألف من هذين العنصرين Fornero أى الفران ،
وهكذا .

ومن مظاهر ذلك ثلاث كلمات ألحقت بها النهاية الدالة على
التصغير واستخدمت بصدد هذا النظام المائى الذى ابتدعه العرب
فى مجرىط مما يستحق منا وقفة متأملة :

أما الأولى فهى كلمة « القنطرة » العربية التى أصبحت فى
الاسبانية بعد اضافة نهاية التصغير Alcantarilla ، وكانت

بدل على المجرى الجوفى الذى ينقل الماء فى باطن الأرض ، وقد شاع استخدام هذا اللفظ فى أسبانيا كلها ، وأصبح الآن يطلق على المجارى التى تصرف المياه الزائدة على حاجات السكان .

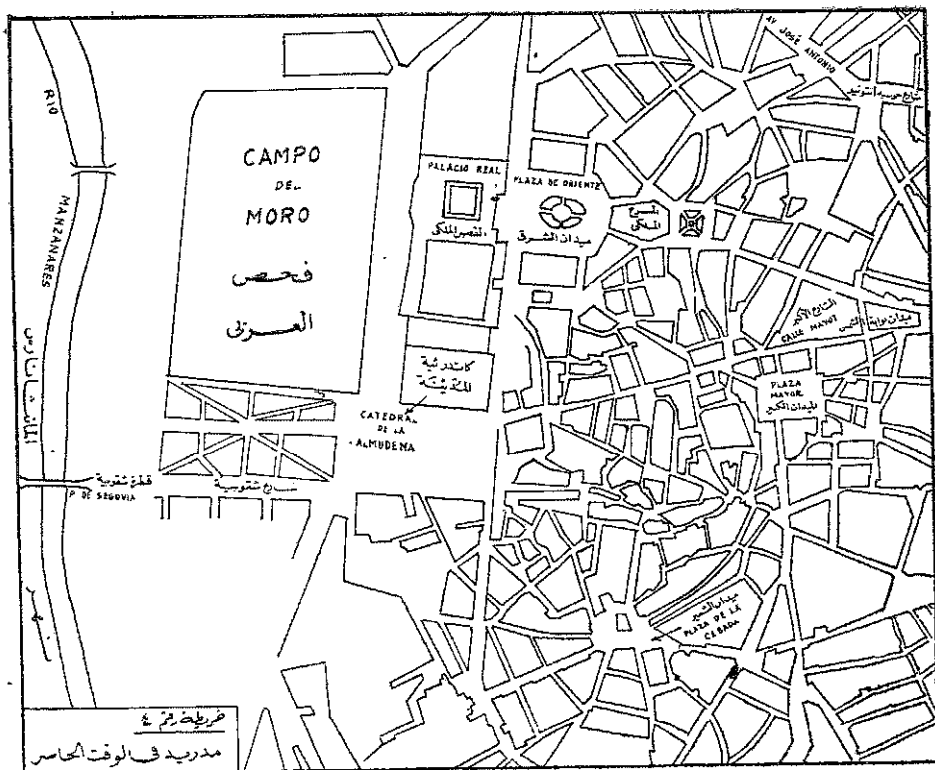
والكلمة الثانية هي « القناة » التى أصبحت فى الانسانية مصغرة بصورة Canilla واستخدمت فى نفس المعنى السابق ، وهى ما زالت تطلق فى مدريد بصفة خاصة باعتبارها علما جغرافيا على مكان يقع فى الشمال الشرقى للعاصمة الاسبانية ، أى فى نفس البقعة التى تدل الأبحاث على أنها كانت غنية بالمياه الجوفية والتى امتدت منها مجموعة من القنوات الأولى لتغذى باقى أحياء المدينة بالمياه .

والثالثة هي « القبة » تحولت بعد اضافة نهاية التصغير الى Alcubilla (أى القبيبة) ، وكان لفظ القبة يطلق على مستودع الماء ، وربما كان أصل اطلاق هذا اللفظ هو أنه كانت تبني على هذه المستودعات مبان تتوجها قباب لتحمي مخارج الماء منها . وما زال لفظ Alcubilla المذكور مستخدما باعتباره علما جغرافيا يطلق على منطقة من المعروف أنها كانت بالفعل مستودعا شقت منه قنوات جوفية عديدة .

ونحن نرى بعد ذلك أنه لم يكن من الغريب أن يطلق الأندلسيون على مدينتهم الجديدة لفظا مثل « مجريط » هو مركب من « مجرى » العربية ومن تلك النهاية اللاتينية الدارجة التى رأينا أمثالها من قبل فى ألفاظ أندلسية أخرى دالة على التعدد والكثرة .

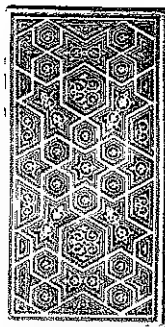
ولا يكاد يخالجننا شك فى أن هذا هو التفسير الوحيد لاشتقاق لفظ « مجريط » ، لاسيما وأنه هو الذى يتضمن تاريخ المدينة نفسها وسر وجودها .





مدريد الحالية ، ويلاحظ أن المدينة قد اتسعت وانبسطت حول المركز
الذي كانت تقوم فيه مجريط العربية .

معالم "مَدِينَة" العربية



وبعد .. فهل بقى شىء من معالم مدريد هذه
التي تدين بفضل بنائها للعرب ؟

لعل السائر الآن فى شوارع العاصمة الاسبانية والمطالع لمناجرها
الكبيرة وأبنيتها الحديثة بل ونواطح سحابها الشاهقة لايسعه
الا التشكك فى هذه الحقيقة •

والواقع أن مدريد قد لحقها ما يلحق العواصم الكبرى من تجديد
مستمر وتغيير متواصل تدفع اليه الحاجة اليومية الى التزيين والتجميل
وتزايد العمران مما لا غنى عنه فى أمثالها من المدن الكبرى • ولهذا
فانه لا ينتظر أن نجد فى مدريد ما نجده مثلا فى تلك المدن الأندلسية
التي يكاد عطر الحضارة العربية فيها يغمم الأنوف منذ أن تطأها قدم
الزائر كما نرى فى قرطبة أو اشبيلية أو غرناطة •

ومع ذلك فان الذى يتأمل هذه المدينة تأمل الباحث المدقق لا كما
يفعل السائح العابث فانه لا يلبث أن يجد فى معالمها تلك المسحة
الخاصة التي تميز المدن الاسلامية الأندلسية •

وأول ما نشير اليه من معالم « مجريط » العربية القديمة هو
قصرها الملكي الكبير الذى يسمى اليوم « قصر الشرق Palacio de Oriente » ، فهو كما يشهد بذلك كل مؤرخى مدريد قائم فى عين



$\frac{d}{dt} \left(\int_{\Omega} u^2 dx \right) = -2 \int_{\Omega} u \Delta u dx = 0$

المجرب في هذه المصرفة Azogue (السوق) ، تم اطلاق عليه اسم الشارع الأكبر

المكان الذى أقيم فيه قديماً قصر العامل أو الحاكم العربى لمجريط ، ثم ان اسمه الذى ظل مستخدماً حتى فترة قريبة والذى ما زال الكثيرون يطلقونه عليه هو لفظ Alcazar وهو تحريف لكلمة «القصر» العربية . وهذا فى الحقيقة هو الخط الذى يهدنا الى بقية معالم مجريط الاسلامية ، كما تهدينا اليها بقية أسماء عربية أو ذات تاريخ مرتبط بالتاريخ الاسلامى للمدينة ، فهذا القصر يطل من الناحية الغربية على سهل منبسط فسيح يمتد بين القصر ونهر المانشانارس ، ويعتبر اليوم من متارزه مدريد ، ويطلق عليه الآن اسم « مرج العربى Campo del Moro » ، وهذا الاسم الذى نرى فيه تذكارا بماض عربى ليس الا بديلاً من اسم آخر عربى خالص نجده منصوصاً عليه فى تواريخ مدريد القديمة فقد كان يطلق على هذا المرج اسم « المصاراة Almuzara » ، وهذا الاسم هو الذى كان يستخدم فى الأندلس والمغرب دائماً على السهل المنبسط الأخضر الذى يمتد تحت أقدام أسوار المدينة حيث يتجه الناس فى أعيادهم وأوقات فراغهم للنزهة والاسترواح ، وقد كانت هناك «مصاراة» كثيرة فى المدن الأندلسية المعروفة مثل قرطبة وسرقسطة، وكذلك فى المدن المغربية مثل فاس ، فنحن نجد فى وصف المؤرخ المغربى ابن أبى زرع لهذه المدينة ذكراً لجنة المصاراة وفحص المصاراة (١) الذى عسكر فيه ملك غرناطة محمد الغنى بالله حينما لجأ الى المغرب لكى يستنجد بالسلطان المرينى بعد خلعه عن عرشه ، والوصف الذى يورده المؤرخون والجغرافيون لهذه المصاراة المغربية والأندلسية يكاد ينطبق على ما يذكر أيضاً عن « مصارة » مدريد التى تدعى الآن « مرج العربى » .

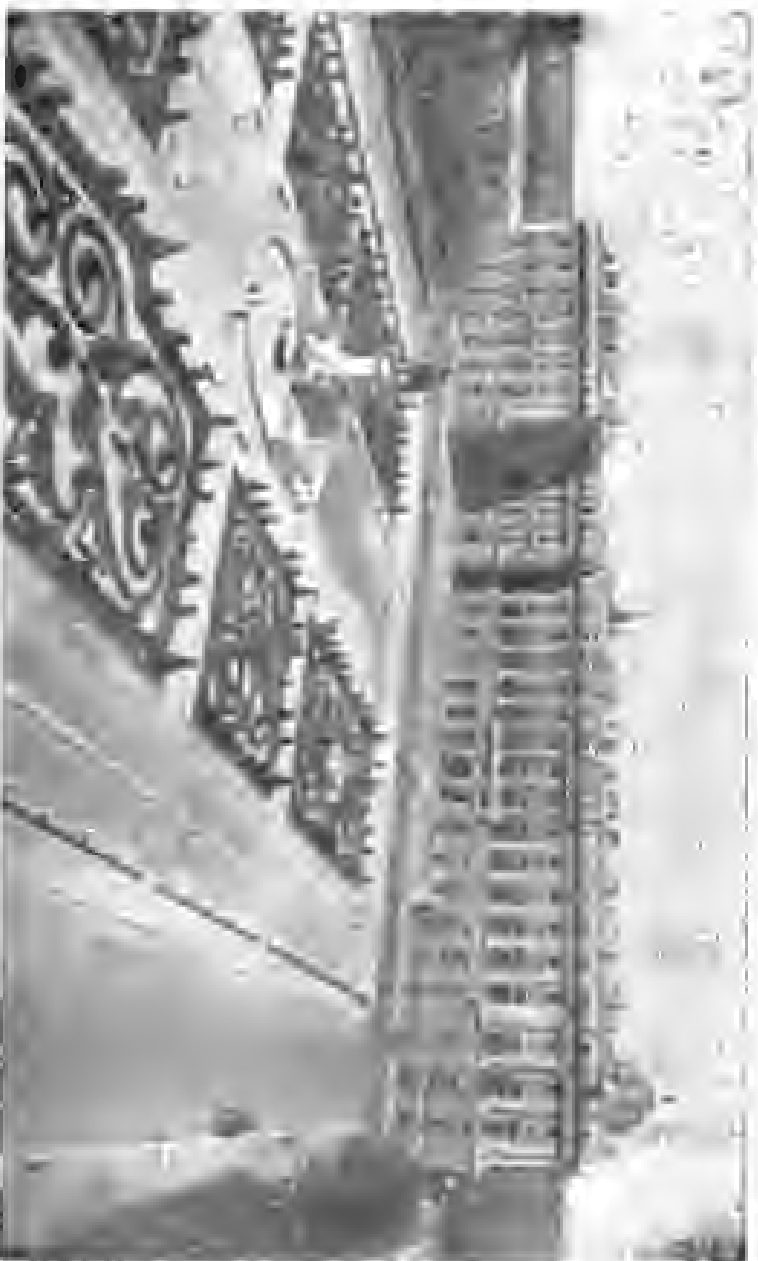
وقد كان قصر الحاكم فى المدن الأندلسية خلال عهودها الاسلامية يقع دائماً فى المنطقة العسكرية المحصنة التى كانت تسمى «القصبة» (بالاسبانية Alcazaba أو المدينة Almudaina تصغيراً للفظ

المدينة) ، والاسم الثاني وان كان أقل شيوعا من الأول فهو كثير في مختلف أنحاء شبه الجزيرة ذات التاريخ العربى ، نجده مثلا يطلق على قسبة مدينة ميورقة Plama de Mallorca حتى اليوم ، كذلك تسمى به بعض قلاع مرسية Murcia ولقنت Alicante

وقد بقى اسم المدينة (بالتصغير) فى مدريد حتى اليوم ، وبه تسمى كنيسة «عذراء المدينة» La Virgen de la Almudena التى تقع على مقربة من القصر الملكى والى الجنوب منه ، وانما سميت بذلك كما يقول مؤرخو مدريد القديمة لأنها كانت الكنيسة الوحيدة فى المنطقة المسورة الحصينة المحيطة بقصر الحاكم التى كان يطلق عليها اسم المدينة ، وقد كان الى جوارها منذ زمن قريب كنيسة أخرى تحمل هذا الاسم أيضا وكانت فيما يقول الأثريون فى نفس الموضع الذى كان مسجد القسبة يقوم فيه على عهد المسلمين وعلى كل حال فان ذكرى الاسم العربى القديم قد بقيت حتى اليوم دالة على الكنيسة المنسوبة لهذه العذراء التى يعتبرها أهل مدريد حامية لمدينتهم .

وقد أمكن اليوم للمتخصصين فى الآثار معرفة موقع قسبة مدريد أو مدينتها على وجه التحديد والأسوار المحيطة بها ، وقد بقى منها حتى اليوم جزء ظاهر بين باب الفحص وباب المدينة الى جنوب القصر الملكى . وسنورد فيما يلى وصفا مختصرا لموقع مجرىط العربى وأهم معالمها .

كانت المدينة تتألف من جزئين رئيسيين : القسبة أو المدينة (بالتصغير) وهى أمتع مواقع المدينة وتقع على ربوة مرتفعة تطل على السهل المنبسط الذى يدعى الفحص الممتد بين أسوارها الغربية ونهر المانشانارس ، وفى شمال هذا الجزء يقع قصر العامل أو الحاكم العربى وهو الذى يقوم فى موضعه الآن القصر الملكى كما ذكرنا .

[illegible]

وهو اليوم من متزهات مدريد •

والى الجنوب الغربى من أسوار القصبة يقع باب الفحص Puerta de la Vega ، وهو باب قريب من قصر الحاكم ، اذ روعى فيه أن يكون منفذا يمكن الحاكم من مبارحة المدينة والهرب منها اذا نشبت ثورة مفاجئة ، ولهذا فانه كان يطلق عليه اسم « باب الخيانة Puerta de la Traicion » ، ونحن نجد مثل هذه الأبواب فى مباني القلاع الاسلامية فى الأندلس الاسلامية واسبانيا المسيحية خلال العصور الوسطى .

ويقابل هذا الباب من الناحية الشرقية باب آخر داخلى فتح فى السور الذى يفصل بين القصبة وبين المدينة ، ولهذا فانه كان يسمى باب المدينة (بالتصغير) ، وكان قريبا من مسجد القصبة الذى أشرنا اليه ويمتد منه بعد ذلك شارع يصل هذا الجزء بما يعرف الآن باسم « الميدان الأكبر Plaza Mayor » فى مدريد القديمة .

أما المدينة فكانت تقع الى الجنوب الشرقى من القصبة ، وكانت تحيط بها أسوار تحميها وكان لهذه الأسوار أربعة أبواب ، باب فى الشمال يعرف باسم Valnadu (ولعله تحريف لكلمتى « باب الناظر » اذ ربما كان فيه برج استطلاعى لاستكشاف أى هجوم قادم من اسبانيا المسيحية التى كانت تمتد فيما وراء جبال وادى الرمل ، فقد كانت هذه الجبهة بالذات هى أول ما يتعرض فى مجرى الاسلاميه لهجوم الأعداء) . وكان هذا الباب يقع فى نفس الموضع الذى يقوم فيه اليوم مسرح الأوبرا ، أو المسرح الملكى Teatro Real .

والباب الثانى يقع فى شرق مجرىط ، وكان يسمى « باب وادى الحجارة Puerta de Guadalajara » ، اذ كان يخرج منه الطريق الى هذه المدينة . ويقع الآن قريبا من « الميدان الأكبر » الذى أشرنا اليه منذ قليل .

والباب الثالث الى الجنوب الشرقى من أسوار مجريط ، وكان يدعى « الباب المغلق Puerta Cerrada » أو « باب الحنش Puerta de la Culebra » (وهو اسم كان شائعا فى المدن الأندلسية) ، ومنه كان يخرج الطريق المؤدى الى مدينة بلنسية فى شرق الأندلس ، وهذا الباب يقع اليوم قريبا فى شارع طليطلة Calle de Toledo

وأما الباب الرابع فهو يقع الى الجنوب مواجهها للميدان الذى يعرف الآن باسم « ميدان الشعير Plaza de la Cebada » وكان يسمى على عهد العرب « باب شقرا Puerta de Xagra » (وهذا الاسم يطلق أيضا حتى اليوم على أحد أبواب مدينة طليطلة باسم Bisagra) ، ثم دعى بعد استيلاء المسيحيين على المدينة « باب المسلمين Puerta de Moros » اشارة الى أنه كان يطل على الحى الذى كان يسكنه المسلمون المورييسكيون المقيمون فى مدريد حتى أوائل القرن السابع عشر ، وكان من هذا الباب يخرج الطريق الموصل الى طليطلة ومدن الأندلس الجنوبية .

ويقدر الأستاذ أوليفر أسين مساحة القصبه أو المدينة (أى المنطقة العسكرية المحصنة من المدينة حيث كان يقوم قصر الحاكم العربى) بنحو تسعة هكتارات (أى ما يقرب من اثنين وعشرين فدانا) ، أما المدينة نفسها (أى المنطقة المدنية) فكانت مساحتها تصل الى ستة وعشرين هكتارا أى قريبا من ستين فدانا .

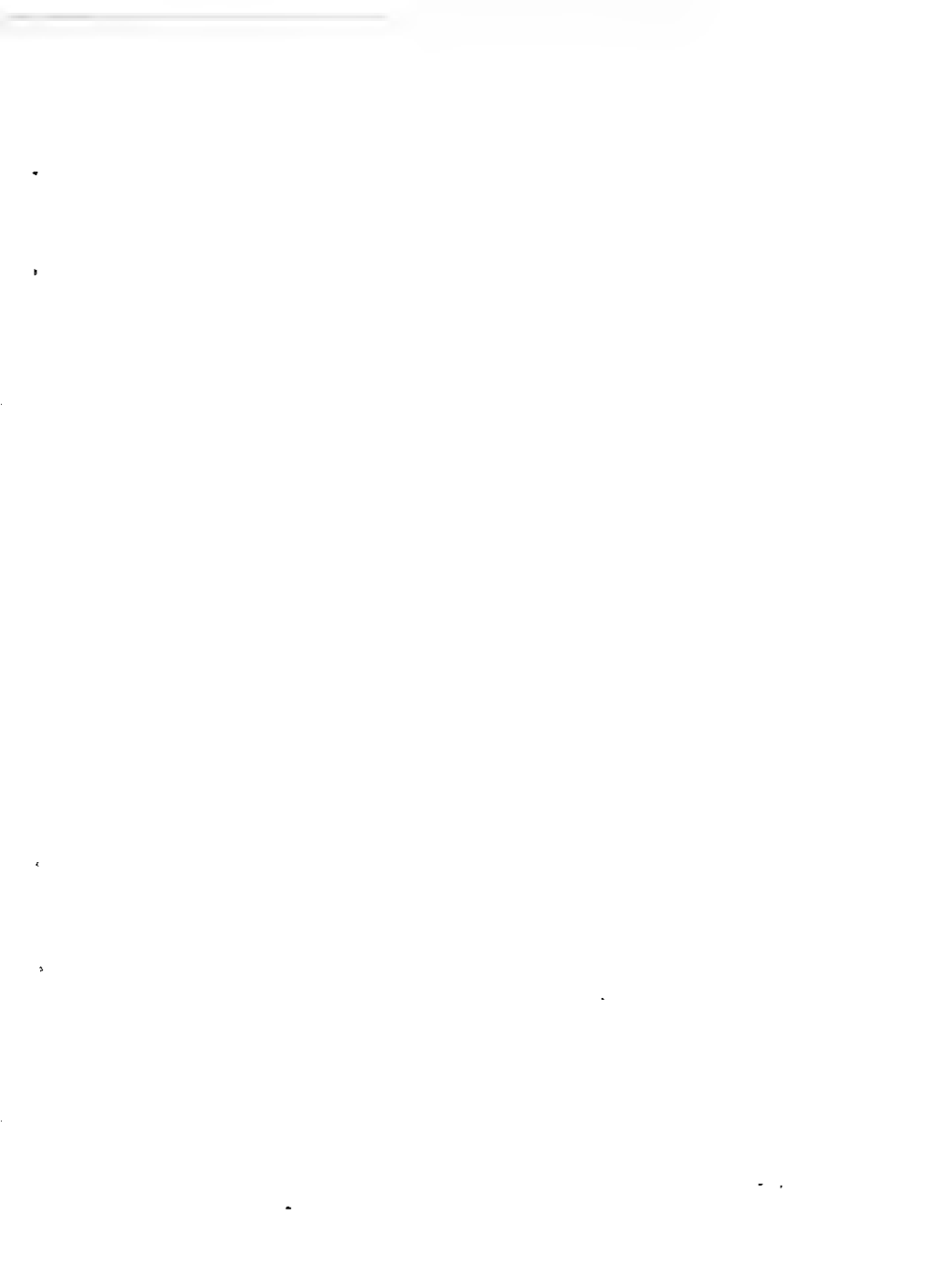
ويبدو أن المدينة العربية كانت مقسمة الى خمسة أحياء أو ستة لكل منها مسجدها الخاص وأسواقها وحماماتها ، وقد حفظت لنا الوثائق الخاصة بمدريد خبرا عن أحد هذه الحمامات العربية كان الى جوار « الباب المغلق » فى الجنوب الشرقى من مجريط ، وكان قد هجر وأهمل فى القرن الرابع عشر ، حتى تكفلت به سيدة مسلمة تدعوها الوثائق « السيدة شمس Doña Xanci » فى أواخر

القرن الخامس عشر ، فأجرت اليه الماء من القنوات الجوفية وأصلحته وأعدته للاستعمال ، وكان يتردد عليه المسلمون المقيمون في المدينة والذين كانوا يحتاجون اليه للاغتسال والتطهير قبل أداء الصلوات .

ويقدر العالم الأثرى توريس بلباس Torres Balbas عدد بيوت مجريط بنحو ٢١٦٨ بيتا ، أما عدد سكانها على عهد العرب فهو يقدره ب ١٢٤٠٨ نسمة .

وقد كان من أهم شوارع مجريط الاسلامية ذلك الذى بقى اسمه الحالى مشيرا الى ماضيه العربى . نعى به الذى يدعى الآن « الشارع الأكبر Calle Mayor » ، ويبدو ان هذا الاسم كان ترجمة للاسم العربى « السوق الكبير » (١) ، وكان يمتد من جنوب القصبة ويخترق الباب المعروف باسم باب المدينة (بالتصغير) ممتدا فى المدينة نفسها ، وكان المسجد الجامع أكبر مساجد مجريط وهو الذى يشير اليه الادريسى وابن عبد المنعم الحميرى يقوم فى هذا الشارع على الأرجح .

(١) يدل على الاصل العربى لهذا الشارع انه ذكر فى القانون البلدى الصادر فى مدريد فى اوائل القرن الثالث عشر باسم Azoque وهو تحريف للكلمة العربية « السوق » كما هو واضح .



التجارة والصناعة في "مجرىط"

ونحن نرى أن مجرىط قد تحولت في أيام المسلمين لا الى قرية صغيرة قليلة القيمة كما ظن كثير من المؤرخين ، بل كانت مدينة يشهد بخطرها وأهميتها من كتب عنها من الجغرافيين العرب . وربما أطلعنا الصفحات السابقة على مدى عمرانها وكبرها .

كانت مجرىط مدينة لها قيمتها العسكرية والمدنية ، وكانت تحيط بها مزارع واسعة فيحاء اختفت بمضى الزمن وبامتداد عمرانها وكثرة مساكنها . غير أن الوصف الذى يورده المؤرخون المسيحيون للمدينة خلال عصورها الأولى التى تلت انتزاعها من أيدي المسلمين يشهد بأنها كانت كثيرة الخضرة والزروع والثمرات ، وكان الفضل فى ذلك راجعا الى كثرة مياهها الجوفية التى عرف المسلمون كيف يستنبطونها من باطن الأرض كما رأينا .

كذلك كانت مجرىط من أكثر مدن الثغور حياة وحركة ، وكانت كثيرة التجارات والصناعات مما يشهد به تأمل أحيائها القديمة التى نعرف على وجه التأكيد أنها كانت فى المنطقة العربية منها . فنحن نرى شوارعها مازالت تحمل حتى الآن أسماء طوائف من أصحاب الحرف المختلفة مثل الدباغين Curtidores والطرازين

Bordadores والصباغين Tintoreros والحصارين Esparteros والمغربلين Cedaceros والسكاكين Cuchilleros، وغير هذه من الأسماء التي تدل على تجمع أصحاب الحرف الواحدة في شوارع أو أزقة خاصة بهم ، وهذا من خصائص المدن الإسلامية التي نرى أمثال هذه الشوارع شائعة فيها حتى اليوم ، تماما كما نلاحظ في الأحياء القديمة بالقاهرة مثلا .

وكانت صناعة الفخار من أهم صناعات مجريط ، وقد أشرنا من قبل الى ما نص عليه الجغرافيون العرب من أنه كان فيها « تربة عظيمة تصنع منها القدور وتستعمل للطبخ عشرين سنة وما تتغير أصلا ، تعصم الأطعمة من التغير في أيام الصيف » ، والطريف أن هناك قرية من القرى التي تتبع مدريد اليوم تدعى Alcorcón (١) (وهو اسم لا مجال للشك في أصله العربي ، وهو مأخوذ من لفظ « القرق » أى شجر الفلين) مازالت حتى اليوم مشهورة بقدورها الفخارية التي ينطبق عليها ذلك الوصف الذي نص عليه الكتاب العرب .

ولنذكر بهذه المناسبة أن مدريد تدين بوجودها الى تلك القنوات التي كانت تحمل المياه الجوفية الى أحيائها ومنازلها عبر شبكة واسعة هائلة . وقد دلت الأبحاث المجراة على ما بقي منها حتى اليوم على أن أنابيب المياه كانت تصنع من ذلك الفخار الذي تميزت به تربة مجريط والذي أغدق الجغرافيون عبارات الثناء عليه والتمدح بجودته . وقد أشار مهندسو القنوات الجوفية في مدريد خلال القرن الثامن عشر الى تميز هذه الأنابيب الفخارية بأنها لا يصيبها الفساد ولا يلحقها الطحلب الذي يمكن أن يغير طعم الماء أو يشوب نقاؤه .

(١) تبعد هذه القرية من مدريد بنحو عشرة كيلو مترات .

كذلك كان من صناعات مجريط المشهورة صناعة الحصر والجبال والأسفاط وغير ذلك مما هو مشتق من نبات الحلفاء ، ولنذكر أن الاسم الاسباني لهذا النبات مازال يدل على أصله العربي الذى حرف عنه ، اذ هو Alfalfa ، ولنذكر كذلك أن من بين القلاع التى أنشئت في عهد الأمير محمد في نفس الوقت الذى أنشئت فيه مجريط قلعة قريبة منها كانت تدعى قلعة الحلفاء (التى دعت بالأسبانية Calatalifa مما يشير الى غنى المنطقة التى تقع فيها مدريد بهذا النبات . كذلك كان يطلق على المادة الأولية المذكورة لفظ آخر هو « الطوج » ، وكان المشتغلون بالصناعات المشتقة منه يدعون « الطواجين » (بتشديد الواو) ، وهو لفظ مرادف « للحصارين » أى المشتغلين بصناعة الحصر .

وقد بقى في مدريد حتى اليوم لفظان يدلان على هذه الصناعة أحدهما هو Esparteros (أى الحصارين) الذى يطلق على أحد شوارع مدريد القديمة والذى كان يجمع أصحاب هذه المهنة الموروثة عن العرب ، أما الآخر فهو اسم Atocha المحرف عن كلمة «الطوج» الأندلسية ، ومازال يطلق على الميدان الكبير الذى تقوم فيها محطة السكك الحديدية التى توصل مدريد بجنوب أسبانيا Estacion de Atocha ، وما أكثر ما يمر أهل مدريد أو زائروها من الأجانب بهذا الميدان فى جيئتهم وذهابهم دون أن يفتنوا الى أن هذا الاسم موروث عن تلك الأيام التى كان العرب يسيطون فيها سلطانهم على عاصمة اسبانيا .

وكانت الصناعات المعدنية فى مجريط مزدهرة ازدهارها فى الوقت الحاضر فى طليطلة Toledo المجاورة ، واذا ذكرنا أن مجريط كانت فى بدء نشأتها قلعة عسكرية حصينة وثغرا يربط فيه المجاهدون المسلمون طورا للدفاع عما وراء ظهرانيهم من حدود الدولة الاسلامية أو لمهاجمة المدن المسيحية الواقعة فيما وراء جبال وادى

الرمل طوراً آخر - فانه من السهل علينا أن نتصور مدى خطر صناعة السلاح في مجريط العربية • وقد استمرت هذه الصناعة على جانب كبير من الأهمية بعد احتلال النصارى للمدينة ، فنحن نرى في الوثائق التي تحدث عن مدريد في القرن الرابع عشر الميلادي اشارات متعددة الى ما كان يصنع في المدينة من سيوف ورماح ودرق (وهى كلمة بقيت في الاسبانية صورتها العربية اذ هي adarga وتروس وخناجر ، وربما كان الشارع الذى يتفرع اليوم من «الميدان الأكبر» والذى يطلق عليه اسم «قوس السكاكينية Arco de Cuchilleros» هو الشارع الذى كان يؤوى تجار السلاح •

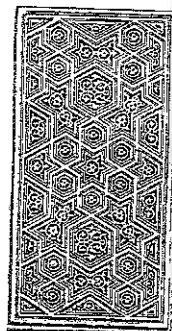
ولم تقتصر مجريط على الصناعات المتعلقة بالأسلحة ، بل كانت مهداً لعدد آخر من الصناعات المعدنية مثل القضبان الحديدية التى تغطى نوافذ البيوت وشرفاتها ، وقد كان من أشهر الحدايد والحراطين الذين كانوا أساتذة هذه الصنعة في مدريد المسيحية خلال القرن الخامس عشر اثنان من المسلمين حفظت لنا الوثائق اسميهما وهما حامد دى كوباس Hamad de Cubas وحامد دى جرينيون Hamad de Grinon ونحن نرى في هذين الاسمين مظهراً لذلك التزاوج والاختلاط بين الأسماء العربية والاسبانية •

ويطول بنا الأمر لو تتبعنا سائر صناعات مدريد التى ورثها النصارى عن المسلمين المجريطين والتى بقيت آثارها في مختلف الشوارع الضيقة التى تحفل بها مدريد القديمة ومازال كثير منها يحمل أسماء أصحاب المهن المختلفة مثل الصيغارين والنحاسين والدباغين والقراقين (الذين يصنعون الأقراص وهى الأحذية الفلينية والحرازين (صناع الأحذية) والحلاجين والجزازين والقزازين والصباغين والجباحين (جامعى العسل من المناحل) والشماعين والفراتين والعطارين ... الى آخره •

ونسجل في النهاية أن أسواق مدريد المسيحية ظلت فترة طويلة بعد فتح انصارى لها تسير في رسومها وأوضاعها على ما جرت العادة به في مجريط العربية ، فقد كان يشرف على الأسواق ويتفقدتها حسبما جاء في القانون الذي أصدرته بلدية العاصمة في القرن الثالث عشر موظف يدعونه بالاسبانية Aimutaceb وهو لفظ يمكن أن نستشف بسهولة من ورائه لفظ «المحتسب» العربي، وهو الذي اعتدنا أن نراه في المدن الاسلامية الأندلسية مكلفا بالاشراف على السوق ومراقبة الأسعار وتوقيع العقوبات على المدلسين والفاشين ورافعي الأسعار بغير وجه حق ، وما زالت وظيفة «المحتسب» قائمة في بلاد المغرب العربي على نفس الرسوم التقليدية المعروفة في العصور الوسطى .



تاريخ "مجريط" العربية



لم تحفظ لنا المراجع الأندلسية كثيرا من أخبار
مجريط ، وكل ما نجده سطور متناثرة هنا
وهناك لا تمدنا بالكثير وان كنا نستخلص منها معلومات تلقى أضواء
كثيرة على تاريخ المدينة الاسلامي ، وتؤكد ما ذكرناه من تزايد مكانة
هذا الثغر وعلو شأنه حتى انه لم يلبث أن أصبح بعد أقل من خمسة
قرون على فتح المسيحيين لها عاصمة لاسبانيا كلها .

وأول ما نعرفه عن تاريخ مجريط العربية هو ذلك النص الذي
سبق أن نقلناه عن أمير مؤرخي الأندلس ابن حيان القرطبي حول
انشاء المدينة ، وهو نص يدلنا على مدى الاهتمام الذي كان يولييه
الأمير محمد بن عبد الرحمن خامس أمراء بنى أمية في الأندلس لهذا
الثغر الجديد ولكل المنطقة المحيطة به من طليطلة الى مدينة سالم .
ولم يحدد لنا ابن حيان تاريخ انشاء مجريط في عهد الأمير محمد ،
وهو عهد ليس بالقصير ، اذ هو يمتد بين سنتي ٢٣٨ و ٢٧٣ هـ .
(٨٥٢ - ٨٨٦) ، ولكن هناك خبرا آخر حفظه لنا ابن حيان أيضا في
كتابه المخطوط الذي نقلنا عنه النص الأول - وسوف نعرض له بعد
قليل - نستخلص منه أن بناء مجريط كان ينبغي أن يتم قبل سنة
٢٥٧ (٨٧١) ، على أننا نلاحظ أن قوة اسبانيا المسيحية لم تمثل

خطرا حقيقيا على الثغور الاسلامية الممتدة بين طليطلة ومدينة سالم
الا منذ أن ولي عرش جليقية وأشتوريش الملك ألفنش بن أردون
المعروف باسم الفونسو الثالث العظيم Alfonso III el Magno
فى سنة ٢٥٢ (٨٦٦) ، وهذا هو ما يحملنا على الاعتقاد أن انشاء
مجرىط كان فى حدود هذه السنة أو قبلها بقليل .

ويوافينا ابن حيان بعد ذلك فى أخبار سنة ٢٥٧ (٨٧١) بجديد
لا نراه الا فى كتابه (١) ، اذ يقول متحدثا عن أهل طليطلة :

« وفيها أيضا غدر أهل طليطلة ، وفارقوا الطاعة ، واختلفت
أهواؤهم ٠٠٠٠ (٢) داخل مدينتهم ، يتنافسون فى الرياسة ، فيقتل
بعضهم بعضا كل حين ، ولا يبعد الى غيرهم ، وفى حالهم هذه قتلوا
أميرهم محمد المعروف بابن بلوش وهو منهم ، وقد كانوا سألوا
السلطان استعماله عليهم ، فدبرهم حيناً ، ثم وثبوا عليه فقتلوه ،
ونفوا مسونة نده الى مجرىط ، فقتله بها عبيد الله بن سالم ، وأرسل
برأسه الى الأمير محمد بقرطبة » .

ونحن نستخلص من هذا النص القصير عدة حقائق لها قيمتها
فى تسجيل بعض الأخبار الجديدة عن مجرىط الاسلامية ، أولها أننا
نرى هنا اسم عامل مجرىط للأمير محمد ، ويبدو لنا أنه أول عامل
للمدينة الحديثة العهد بالانشاء ويستحق اسم هذا العامل وقفة
متأمل . فنحن نرى نسبه ينتهى الى سالم ، والذي نعرفه مما ذكره
ابن حزم الأندلسى فى كتابه « جمهرة أنساب العرب » (٣) أن هناك

(١) جاء هذا النص فى القطعة المخطوطة من كتاب « المتبى » والمحفوظة فى
مكتبة جامعة القرويين بفاس ، ورقة ٢٦٩ ب . وقد قمنا بتحقيق هذه القطعة
وهى الآن تحت الطبع فى بيروت .

(٢) قطع فى الاصل بقدر عدة سطور .

(٣) الجمهرة ، نشر ليفى بروفتسال ص ٤٦٦

عائلة كبيرة تدعى بنى سالم كانت قد استقرت منذ الفتح الاسلامى فى منطقه التغر الأدنى بين طليطلة وسرقسطة وكانت تتوارث حكم المدن الكبرى فى هذه المنطقة ، وأول من عرفه من هذه الأسرة هو سالم بن ورعمال بن وكذات المصمودى من موالى بنى محروم ، فهى اذن من البربر الذين قدموا مع العرب فى جيش طارق بن زياد من شمال افريقية ، وسالم هذا هو الذى تنسب اليه « مدينة سالم » الواقعة فى منتصف الطريق بين مدريد وسرقسطة ، وقد كان من أبنائه قائد مشهور كذلك هو الفرج بن مسرة بن سالم الذى له يرجع الفضل فى بناء مدينة « وادى الحجارة » ومن أجل ذلك كان يطلق على هذه المدينة أيضا اسم « مدينة الفرج » . ومن هذا نرى أن هذه الأسرة البربرية الأصل كانت هى التى اضطلعت بتعمير هذه المنطقة الثغرية كلها واستحداث مدنها والنهوض بأمورها ، فإذا كنا نعرف أن أول عامس على مجريط كان يدعى عبيد الله بن سالم فلا نظننا بعيدين عن الصواب اذا قدرنا أن هذا القائد لا بد أن يكون من تلك الأسرة المشهورة التى بنت أهم مدن هذه المنطقة فى أيام المسلمين وهما وادى الحجارة ومدينة سالم .

ونستخلص من نص ابن حيان كذلك أن مجريط ظلت وفيسة لسلطة الأمير بقرطبة متمسكة بطاعته على الرغم مما كانت تضطرب به طليطلة عاصمة الكورة من الفتنة والخلاف ، وأن أهل طليطلة كانوا يعرفون ذلك حينما نفوا عاملهم مسونة المذكور اليها ، اذ لم يفعلوا ذلك الا بهدف التخلص منه ، وقد حدث ما توقعوا ، فان عامل مجريط - عبيد الله بن سالم المذكور - لم يتردد فى قتله وتوجيه رأسه الى الأمير محمد .

ويدلنا هذا النص فضلا عن ذلك على أن الأمير محمدا حينما بنى مجريط وغيرها من فلاع هذه المنطقة الممتدة على السفوح الجنوبية لجبال وادى الرمل لم يكن يرمى بذلك الى الدفاع عن طليطلة ضد هجمات

النصارى فحسب ، وانما اتخذ من تلك الحصون قواعد تحيط بطليطلة وتأخذ بمخنتها اذا تجددت فيها المعصية أو مال أهلها الى التشغيب، والواقع ان طليطلة كانت قد أصبحت منذ فتحها المسلمون وكرا للعصيان والثورة ، وكانت جيوش الأمراء الأمويين بقرطبة تتكرر عليها بالغزو فتخلد تارة الى الطاعة ، ثم تعود الفتنة فيها الى الاضطرام من جديد . وأخيرا رأى هذا الأمير الأندلسي العظيم الذي تجلت مواهبه السياسية والعسكرية فى أكثر من مناسبة أن خير ما يضمن له السيطرة على طليطلة هو أن يحيطها بنطاق من القلاع الحصينة يشحنها برجانه وخاصته ليكونوا رقباء على طليطلة وطلائع لجيوش العاصمة الأندلسية اذا ندت من أهلها ثورة أو نزعوا الى خلاف وكان اعتماد الأمير محمد فى ذلك على أسرة بنى سالم أصحاب وادى الحجارة ومدينة سالم الذين أثبتوا للأمير ولاءهم وإخلاصهم فى مناسبات كثيرة (١) .

مجريط فى أيام الخلافة الأموية :

ولاتمذنا المراجع الاسلامية بعد ذلك من أخبار مجريط الا بالقليل النزر ، ومن ذلك أننا نعرف اسم العامل الذى أسند اليه الخليفة القرطبى العظيم عبد الرحمن الناصر حكم هذا البلد فى سنة ٣١٧ (٩٢٩) ، وهو عبد الله بن محمد بن

(١) أورد ابن حبان فى هذه القطعة من كتاب « المقتبس » أخبارا كثيرة عن بنى سالم المذكورين ، وهى تدل على أنهم كانوا دائما أكثر حكام الثغور إخلاصا لقرطبة وإبقاما بالشوار الخارجين على الطاعة فى هذه الجهات .

ابن عبيد الله (١) . ولسنا نستبعد أن يكون هذا العامل حفيداً لعبيد الله بن سالم الذي ذكرناه في الفقرات السابقة ، لاسيما وأننا اعتدنا أن نرى مناصب حكم الجهات والأقاليم في أكثر الأندلس ولاسيما في مناطق الثغور يتوارثها أفراد الأسرة الواحدة .

ويبدو أن نصارى مملكة ليون Leon في عهد الخليفة الأندلسي العظيم عبد الرحمن الناصر هاجموا مجريط في إحدى غاراتهم . ولا تحدثنا المراجع الإسلامية المعروفة حتى اليوم عن تلك الغارة ، ولكن المؤرخ المسيحي سامبيرو Sampiro يذكر في مدونته أن ملك ليون رذمير الثاني Ramiro II استولى على مجريط في سنة ٩٣٢ (التي تقابل ٣٢٠ هـ) (٢) ، وإهمال المراجع الإسلامية لهذه الغارة يدل على أنها كانت أمراً عابراً غير ذي خطر . ولعلها كانت غارة خاطفة من تلك التي اعتدنا عليها في مناطق الثغور ، وربما قدر فيها للملك النصراني بعض النجاح ، ولكنها لم تكن احتلالاً للمدينة بمعنى الكلمة ، فأننا نعرف من أخبار مجريط أنها ظلت قاعدة إسلامية بعد ذلك بسنوات قليلة . وقد أمدنا ابن الأبار باسم عامل جديد لها من قبل الخليفة الناصر في سنة ٣٢٤ (٩٣٦م) هو أحمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي (٣) ، وأحمد هذا هو حفيد الفقيه الأندلسي المشهور يحيى بن يحيى الليثي المصمودي تلميذ مالك بن أنس وراوي الموطأ ومدخل المذهب المالكي إلى الأندلس ، وإذا قدرنا ما كان ليحيى بن يحيى وأسرته من بعده من

(١) أنظر كتاب « قطع من تاريخ لعبد الرحمن الناصر مجهول المؤلف » ، نشر الاستاذين ليفي بروفنسال وغرسية غومس ، ط . مدريد وغرناطة سنة ١٩٥٠ ص ٨٤

(٢) أنظر ليفي بروفنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية ٥٢/٢ - ٥٣

(٣) ابن الأبار : التكملة ، نشر أحمد بن أبي شنب والقريريدي بيل ، ط . الجزائر « ترجمة وقم ١١ .

النفوذ الكبير في حياة الأندلس عامة فان لنا أن نرى في تعيين الفقيه القرطبي الكبير واليا على مجريط مظهرا من مظاهر خطر هذا الثغر ودلالة على علو مكانته ما بين مدن الثغور الأندلسية * ويبدو أن الحرب على الحدود الإسلامية كانت سجالا في هذه السنوات ، وأن نصارى الثغور المسيحية القريبة من مجريط مثل شقوبية Segovia قد شتدت شوكتهم * نرى مظهرا لذلك في حياة هذا العامل الفقيه المجاهد الذي يذكر ابن الأبار عنه أنه خرج في السنة المذكورة (٣٢٤ هـ - ٩٣٦ م) الى بلاد النصارى فشن عليها غارة عنيفة أوقع فيها بهم (ولعلها كانت انتقاما لحملة رذير السابقة قبل ذلك بأربع سنوات) ، وعاد الى مجريط محملا بالغنائم ، ولكن كميننا من فرسان النصارى فاجأه في الطريق ، فقاتلهم أحمد بن عبد الله قتالا شديدا ولكنه استشهد هو وسبعة عشر من أصحابه ، ويبدو أن بقية جيشه اضطرت الى الاحتماء بقلعة طلمنكة القريبة ، فحملوا جسد قائدهم معهم ودفنوه في تلك القلعة * .

ونعرف بعد ذلك أن مجريط كانت من بين الثغور التي تردد عليها بطل الأندلس العظيم المنصور بن أبي عامر في غزواته المتكررة لاسبانيا النصرانية ، فابن عذارى يذكر في « البيان المغرب » أن الحاجب العامرى خرج بالصائفة من قرطبة يوم عيد الفطر سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٧ م) فاجتمع بمجريط مع غالب قائد الثغر الأدنى وصاحب مدينة سالم ، ومنها توجه الاثنان الى أرض النصارى ، وافتتحا في هذه الغزوة حصن موله (١) * .

(١) انظر البيان المغرب ٢/٢٦٥ ، وليفى بروفنسال : تاريخ ٢/٢١٣ - ٢١٤ ، ولم يحدد ليفى بروفنسال مكان حصن موله المذكور ، وان كان يظن أنه من بين القلاع المسيحية في السفوح الجنوبية لجبال وادي الرمل ، على أن المستشرق الاسباني أوليفر أسين يعتقد أن الأقرب الى الصواب هو أن يكون الحصن الذي يسمى اليوم La Muela على مقربة من مدينة سريه .

وفى أثناء هذه الحملة التى كان لها فضـل فى سطوع نجم المنصورين أبى عامر وصعود طالعـه توطأ هو والقائد غالب على الأيـقاع بجعفر بن عثمان المصـحفى الحاجب ودبرا أمرهما فى ذلك حتى انتهيا الى تنحيته عن الوزارة وتمهيد السبيل بذلك أمام ابن أبى عامر لكى يستولى على مقاليد السلطة وتصبح له الكلمة العليا فى الأندلس .

مـجـريـط والفتنة القـرطـبية

ولكن الدولة الإسلامية فى الأندلس لا تلبث أن تتصدع فى أوائل القرن الخامس الهجرى بعد قتل عبد الرحمن بن المنصور العامرى سنة ٣٩٩ (١٠٠٩ م) ، ثم تستمر الفتنة المدمرة ، وتدور الحرب الأهلية الجائحة التى لم ينتظم للأندلس بعدها شمل ، وكان بطلا هذه الحرب المشئومة هما سليمان بن الحكم المستعين مع من انحاز اليه من البربر وحلفائه من نصارى قشتالة وغريمه محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي يعاونه القائد الصقلبي واضح ومن أزره من نصارى افرنجة (برشلونة) ، وتدور بين الفريقين معارك رهيبة فيما بين سنتي ٤٠٠ و ٤٠٣ . وإنما أشرنا الى هذه الوقائع لأن كثيرا منها دار فى تلك المنطقة المحيطة بمجريط : عند قلعة عبد السلام Alcala de Henares وعلى ضفاف وادى شرنبسة Río Jarama الذى تقع تلك القلعة على مقربة من حوضه ، وقد صور لنا الشاعر الأندلسي الكبير ابن دراج التسطلي طرفا من هذه الحروب فى قصيدته الدالبة التى مدح بها سليمان المستعين وهناه بانتصاره والتى يقول فيها :

حتى ارتقيت من المنابر رتبة
 في قبلة الملك الذى صنهاجة
 وسراتها ودعاتها ورعاتها
 هم نوروا لك ليل كل مضلة
 حلفوا بربهم لعقد خلافة
 وبها استقاد لهم ملوك عداتهم
 واستودعوا جنبى «شربة» وقعة
 دلفوا الى شهباء حان حصاها
 وشعاب «قنتيش» وقد حشرت لهم
 أمم بغاة لا يكت عديدها (٢)

ثورة عبيد الله بن المهدي في مجريط

ولابد أن مجريط أصابها من نار هذه الفتنة شواظ ، فهي تقع
 في صميم هذه المنطقة التي شهدت ذلك الصراع الدامي العنيف بين
 المسلمين بعضهم والبعض ، بل اننا لا نلبث بعد ذلك بسنوات أن
 نرى «مجريط» مهذا لثورة أخرى أوشكت معه أن تتحول الى عاصمة
 خلافة أندلسية جديدة تنازع قرطبة والقاهرة وبغداد .

وقد كان بطل هذه الثورة الجديدة رجلا غامضا اختلف حول
 حقيقته الناس ، وكان العالم الأندلسي الكبير ابن حزم القرطبي هو
 الذى روى لنا خبر ثورته فى سطور موجزة من كتابه (نقط العروس
 فى تواريخ الخلفاء » اذ يقول فى الكلام عن طلب الخلافة ولم يتم
 أمره :

- (١) صنهاجة وزنانة من أكبر القبائل البربرية ، وكان البربر يؤيدون سليمان
 المستعين فى قتاله لمحمد بن هشام المهدي زعيم الحزب الأندلسي .
 (٢) نظر ديوان ابن دراج القسطلي ، تحقيق د. محمود على مكي ، نشر المكتب
 الاسلامي بدمشق سنة ١٩٦١ ص ٦٢ - ٦٤ .

« عبيد الله بن المهدي ، قام على المستكفي بمجريط ، وثب به وقتل . قال أبو محمد (أى ابن حزم) : صح عندنا أنه لم يكن عبيد الله بن المهدي ، وإنما كان غلام العطار المعروف بالفصيح وادعى أنه عبيد الله بن المهدي » (١) -

على أن نص ابن حزم الذى نقلناه هنا بنصه من الإيجاز والاختصار بحيث لم يكن من السهل تأويله ، وهذا هو ما جعل الأستاذ أوليفر أسين مؤرخ مجريط - وهو أول من استفاد منه - يبعد فى تفسير هذه الثورة ويختلط عليه أمرها ، فقد ظن المؤرخ اللغوى الجليل أن هذا الثائر الذى أطاق ابن حزم اللثام عن حقيقة شخصيته ، وهو غلام الفصيح العطار ، إنما قام بثورته ونادى بنفسه خليفة منتحلا شخصية عبيد الله المهدي منشىء دولة الفاطميين التى أعلنت أولا فى القيروان سنة ٢٩٦ (٩٠٩م) ثم اتسعت بعد ذلك فشملت الشمال الأفريقى كله قبل أن تحتل مصر فى منتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وكان عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين يحكم تلك الدولة الجديدة فيما بين سنتى ٩٠٩ و ٩٣٤ م . وقد ظن أوليفر أسين أن غلام الفصيح الذى اتخذ من مجريط مركزا لثورته السياسية والدينية كان واحدا من الدعاة الفاطميين الذين كانت الدعوة تبعث بهم الى مشارق العالم الاسلامى ومغاربه ، وأنه موه على الناس مدعيا أنه عبيد الله المهدي ، ولكن المستشرق الاسباني لم يستطع أن يقطع بتاريخ محدد لهذه الثورة ،

(١) نقتط العروس ، بتحقيق الدكتور شوقي سيف ، فى مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، سنة ١٩٥١ ص ٥٨ - ٥٩

فهو لم يعرف ما اذا كانت قد نشبت قبل وفاة مهدي الفاطميين الحقيقي أو بعدها ، ولو أنه رجح أن يكون ذلك بعد وفاته في ٩٣٤م بسنوات قليلة ، أى في أيام عبد الرحمن الناصر أول خلفاء بنى أمية في الأندلس (١) .

وقد ناقشنا رأى أوليفر أسين في بحث أفردناه لهذه الثورة ونشرناه في « صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية » (٢) ، وانتهينا من اعادة دراسة هذا الحدث التاريخي الذي كانت مجريط ميدانه الى رأى آخر ، هو أن هذا التأثير الجرى لم تكن له أدنى علاقة بالدعوة الفاطمية ولا بمؤسس دولتها عبيد الله المهدي ، وانما كان نائرا على الخليفة الأموي محمد المستكفي بالله الذي تربع على عرش قرطبة سنة وبضعة شهور بين عامي ٤١٤ و ٤١٥ هـ . (من ١٧ يناير ١٠٢٤ الى ٢٦ مايو ١٠٢٥) في تلك الفترة المضطربة الحافلة بالفتن والحروب الأهلية التي أعقبت تصدع خلافة الأمويين بالأندلس (٣) .

أما انشخصية التي حاول التأثير المجريطي انتحالها فقد كانت شخصية أحد أمراء البيت الأموي وهو عبيد الله بن محمد بن هشام ابن عبد الجبار ، وأبوه هو محمد بن هشام المعروف بالمهدي الذي كان أول من فتح باب الفتنة في الأندلس بثورته على عبد الرحمن ابن المنصور بن أبي عامر في جمادى الثانية سنة ٣٩٩ (فبراير

(١) أنظر تاريخ اسم مدريد ص ٢٦٦ - ٢٦٨

(٢) محمود مكي : حول ثورة عبيد الله بن المهدي في مجريط « بحث بالاسبانية » صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية ، المجلدان التاسع والعاشر سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢ ص ٢٥٥ - ٢٦٠ « القسم الأوربي »

(٣) عن حكم المستكفي أنظر ليفي بروفنسال : تاريخ اسبانيا الاسلامية ٢٣٥/٢ - ٢٣٦ ، والمستكفي هذا هو والد الاميرة الشاعرة المشهورة ولادة صاحبة ابن زيدون .

١٠٠٩ م) ، ونحن نعرف أن محمدا المهدي هذا ولى الخلافة مرتين قبل أن يقدر به أنصاره ويقتلوه في ٢٣ يولييه سنة ١٠١٠ ، وكان مصرعه بعد أكثر من سنة من صراع مستمر مع سليمان بن الحكم المستعين دار أكثره في منطقة الثغر الأدنى وعلى ضفاف وادي شرنبة كما رأينا من قبل في الأبيات التي نقلناها عن ابن دراج القسطلي ، أي في نفس المنطقة المحيطة بمجريط ، وهذا هو ما جعل ثائر مجريط ينتحل شخصية ابن يدعى عبيد الله لهذا الخليفة المنكود الذي قضى الشطر الأخير من حياته متنقلا في أنحاء الثغر الأدنى (طليطلة) خلال ذلك الصراع العنيف الذي دار بينه وبين خصومه ومنافسيه ، وقد ذكر أبو محمد بن حزم بالفعل في كتاب آخر من كتبه (١) أن المهدي قد أعقب بالفعل ولدا يدعى عبيد الله توفي بقرطبة دون خلف . وهكذا نرى أن غلام الفصيح المذكور أراد أن يموه على الناس مدعيا أنه عبيد الله المذكور ومطالبيا بالخلافة باعتبارها ميراثا له من « أبيه » الذي غدر به أنصاره وقتلوه ، وكانت ثورته اذن على « ابن عمه » المستكفي بالله على حد زعمه . ولكن هذا النسب الذي ادعاه المغامر الجريء لم يكن ليقب على رجل واسع العلم بأنساب بنى أمية مثل ابن حزم وان كان قد خدع به قوما كثيرين ناصروه والتفوا حوله من أهل مجريط .

وقد كان غلام الفصيح المذكور لا يخلو مع جراته وجسارته من معرفة بالأدب ومشاركة في قول الشعر ، كما تشهد بذلك ترجمته التي نقلها الحميدى في « جذوة المقتبس » عن أستاذه ابن حزم ، والتي أورد له فيها مختارات من قصيدة له قالها بمناسبة ثورته :

(١) جمهرة انساب العرب ، نشر ليفي برونفسال ، ط . القاهرة سنة

يامن يعذبني مستعذبا ألمي
 يكفيك ماقد يرى جسمى من الألم
 حكمت لى بقضاء غير مقتصد
 تفديك نفسى من قاض ومن حكم
 يا قصر قرطبة هيجت لى شجنا
 لما تأبدت بعد الكنس الرئم
 معاهد عمرت فيها خلافتنا
 أكفنا فوقها بالجوود كالديم
 أيام للملك المهدي دولته
 فيها فقد أصبحت فى الدهر كالعلم
 فان أعش فسأبكيه بذى شطب
 ومارن كشهاب النار مضطرم (١)

ونحن نرى من هذه الأبيات أن الثائر المجرىطى الذى زعم أنه
 ابن المهدي يبكى الأيام التى كان «أبوه» المزعوم يتربع فيها على
 العرش فى قصر قرطبة ثم يصرح بعزمه على الثار لمصرع المهدي
 وتصميمه على استرداد «عرشه» المغتصب ، ويبدو من الواضح
 أن هذه الأبيات قد قيلت بمناسبة الثورة التى أعلنها على المستكفى
 ذلك الشاب الطموح الجسور ، والتى لو قدر لها نجاح لأصبحنا
 نرى مجرىط منذ أوائل القرن الحادى عشر وقد تحولت الى مقر
 لحلافة أندلسية أموية جديدة وعاصمة للمملكة الاسلامية فى اسبانيا
 قبل أن يقدر لها أن تصبح عاصمة اسبانيا الكاثوليكية بخمسة
 قرون .

غير أن محاولة الفتى المجرىطى غلام الفصيح العطار انتهت الى
 الفشل ، وقتل هذا الثائر المحتال بعد أو وفق الى اقناع كثير من

(١) جلوة القتبس ، ترجمة رقم ٩٨٣ « ن » القاهرة سنة ١٩٥٢

أهل مجريط بعدالة قضيته ، وانتهى أمره ، ولو أن ذكره لم تنقرض تماماً من المدينة ، فأنسا نجد في خرائط مدريد القديمة أنه كان هناك في بعض أحيائها ذات التاريخ العربي شارع كانوا يدعونهُ Calle de Alatar أى شارع العطار) ، وهكذا كان يسمى حتى القرن السابع عشر (١) ، فهل يكون في هذا الاسم ما يذكر بتلك الثورة التي حمل لواءها في مدريد ذلك الفتى الذي ادعى أنه أمير أموى مع أنه لم يكن في الحقيقة الا « غلام العطار » ؟...

مجرط في عصر الطوائف :

وقد أعقب انهيار الخلافة الأموية في أوائل القرن الحادى عشر أن الأندلس تمزقت الى دويلات صغيرة هي التي يعرفها التاريخ باسم « الطوائف » . وكانت مجريط في هذا التوزيع الذى جرى على تركة الأمويين هي وسائر مدن الثغر الأدنى من نصيب مملكة طليطلة التي كان يحكمها بنو ذى النون الهواريون ، ونحن نعرف أن هذه المنطقة الواقعة في وسط شبه الجزيرة كانت هي أول ما تعرض من بلاد الأندلس لهجمات النصارى ، ولأسيما منذ أن ولى حكم قشتالة Castilla الملك ألفنش (ألفونسو السادس Alfonso VI) في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . وكان من الغريب أن انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس لم يبدأ من أطرافها في الشمال أو أقصى الغرب ، بل بدأ من الوسط : من هذه المنطقة المحيطة بطليطلة على السفوح الجنوبية لجبال وادى الرمل ، وهذا

(١) أنظر بحث الأستاذ أوليفر أسين عن « الصناعة في مدريد منذ انشائها حتى سنة ١٤٠٠ » - محاضرة ألقاها المؤلف في الفرفة الصناعية في مدريد في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٢ ، ط ٠ مدريد ١٩٦٣ ص ٤١

هو ما أشار اليه الزاهد الطليطلى ابن الصال في أبيات قالها
بمناسبة سقوط طليطلة في أيدي النصارى (١) :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم
فما المقام بها الا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى

ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

وكان هذا بالفعل بداية النهاية للإسلام في الأندلس ، فان
انهيار هذه الجبهة الوسطى للإسلام الأندلسى كان نذيرا بانتهيار
باقى الجبهات ، فلم تلبث منطقة الشجر الأعلى (سرقسطة) أن
سقطت بعد ذلك فى أوائل القرن الثانى عشر وتلتها بعد ذلك القواعد
الأندلسية الكبرى فى القرن التالى .

أما مجريط فقد استولى عليها ألفونسو السادس فى سنة ٤٧٦
(١٠٨٣) فى جملة ما استولى عليه من حصون تلك المنطقة ومدنها
مثل طلمنكة ووادى الحجاره وغيرهما . وأدى ذلك بعد سنوات
قليلة الى سقوط القاعدة الكبرى : طليطلة فى سنة ٤٧٨ (١٠٨٥) .
وكانت هذه أول كارثة كبرى تحل بالإسلام فى الأندلس ، ولم
يستقل هذا القطر من تلك العثرة على الرغم مما بذله المرابطون
بقيادة زعيمهم العبقري يوسف بن تاشفين فى سبيل استنقاذ هذه
العاصمة من أيدي القشتاليين . ولا سيما بعد أن أحرز القائد
المرابطى انتصارا ساحقا على ألفونسو السادس فى موقعة الزلاقة
فى ١٢ رجب سنة ٤٧٩ (٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦) .

(١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب « بتحقيق الدكتور شوقي ضيف » ٢١/٢

مجريط فى عهد المرابطين والموحدين

وبذا ينتهى تاريخ الحكم الاسلامى فى مجريط ، ولم يفلح المرابطون ولا الموحدون من بعدهم فى استخلاصها من أيدي المسيحيين ، هذا وان كانت الجالية الاسلامية ظلت فيها كبيرة حتى القرن السابع عشر الميلادى .

ونحن نعرف من محاولات المرابطين استرجاع مجريط ما يذكره بعض مؤرخى هذه الدولة من أن أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين قاد فى سنة ٥٠٣ (١١٠٩) جيشا عظيما حاصر به طليطلة وفتح طليطلة Talavera de la Reina واستولى من أعمال طليطلة على سبعة وعشرين حصنا منها مجريط ووادى الحجارة وبالق فى النكاية ثم قفل الى قرطبة (١) .

ولو صح هذا الخبر - ولسنا نميل الى تأكيد صحته - فان بقاء مجريط فى أيدي المسلمين لم يطل ، اذ سرعان ما نجد هذه المدينة وقد أصبحت قاعدة نصرانية تتوجه منها جيوش قشتالة لغزو بلاد المسلمين بعد أن كان الأمر بضد ذلك من قبل .

ولم تكن هذه هي المحاولة الأخيرة من أجل الاستيلاء على مجريط، فقد تكرر ذلك مرة أخرى بعد تسعين سنة فى أيام الخليفة الموحدى

(١) أنظر ابن أبى زرع: روض القرطاس ٨٥/٢ ، ط . فاس سنة ١٩٣٦ والسلاوى: الاستقصا « ط . الدار البيضاء » ٥٩/٢ ، على أن المؤرخين ابن عذارى وابن القطان - وهما أوثق من كتب عن تاريخ الموحدين - لم يشرأ فيما كتبا الى فتح مجريط ، وإنما: يكتفیان بتسمية هذه الحملة « غزوة طليطلة » (انظر نظم الجمان لابن القطان بتحقيقنا - ط . تطوان سنة ١٩٦٤ ص ١٣ - ١٤) والحصن الوحيد الذى يشير ابن القطان الى فتحه من حصون منطقة مجريط هو قنالش Canales . وانظر كذلك مقال المستشرق الاسبانى اويثى ميراندا : روض القرطاس والمرابطون - مجلة اسبيرييس - الرباط سنة ١٩٦٠ ص ٥٣٥ .

العظيم أبى يوسف يعقوب المنصور : يقول المؤرخ المغربى الناصرى
السلوى فى ذلك بعد حديثه عن موقعه الارك Aiarcos التى هزم
فيها جيوش ملك قشتاله ألفونسو اثنى من هزيمة ساحقة سنة ٥٩١
(١١٩٥) :

« ثم تقدم المنصور الى مدينة طليطلة ، فحاصرها وقاتلها قتلا
شديدا ، وقطع أشجارها وشن الغارات على ماحولها من البلاد ،
وفتح فيها عدة حصون مثل قلعه رباح Calatrava وودى الحجارة
ومجريط وجبل سليمان (؟) وأنيج (Ucles) وكثير من أحواز
طليطلة ، ثم ارتحل من طليطلة الى طلمنحه alamanca ، فدخلها
عنوة بالسيف ، فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية وغنم أموالها
وهدم أسوارها واضرم النيران فى جوانبها ، وتركها قاعا
صفصفا » (١) .

ولكن هذا الفتح - لو صح خبره - كان مثل سابقه فى أيام
المرابطين عابرا لم يقدر له دوام ولا اتصال ، وهذا فى الواقع أمر
طبيعى اذ لم يكن من الممكن أن يحتفظ المسلمون بمجريط وطلمنحه
وودى الحجارة وقلعة رباح مادام النصارى مسيطرين على طليطلة .
ولهذا فان هذه الغزوة لم يترتب عليها استرداد المدن المذكورة فى
النص بمعنى الكلمة ، وانما كانت غارات تخريبية لم يهدف من
ورائها الى احتلال .

وفى سنة ٥٩٣ (١١٩٧) يتوجه المنصور مرة أخرى من
اشبيلية الى قرطبة ومنها الى طليطلة ، ويصف لنا ابن عذارى هذه
الحركة بمزيد من التفصيل فيقول :

« ولما بلغ المنصور بقرطبة مراده ، وأحكم تدبيره وأكمل
استعداده ، تحرك رحمه الله على أيمن الأقدار ، ومساعدة من خدمة
الليل والنهار ، وأخذ على طريق طليطلة ، وقد كان أذنونش اللعين

(١) السلوى : الاستقما ٢/١٧٢

(ألفونسو الثامن) عند اشراف المنصور على بلاده ، بعساكر المسلمين قدم رسله فى طلب المهادنة والاستسلام ، والوقوف عند الأمر والالتزام ، فنظر المنصور بنور التوفيق والرشد ، ألا يحل ما انعقد عليه العزم من صريمة الغزو والجهاد ، فانصرف رسله من غير جواب ، الا انتظار سنان وصارم قضاب .

وتقادى المشى على هذا الأسلوب ، وعلى ما أمل من المرغوب ، حتى كان الامام بطليطلة ، فغشيها أعظم مما تقدم من الانتهاك والالتهاب ، بالاستئصال والاتلاف والاذهاب ، ثم اتصلت الأنباء أن الكافر البرشلونى أمد أذفونش برجاله وأبطاله ، وهم بحصن مجريط يقدمون ويؤخرون ، ويخوضون فيما لا يفعلون ، فقصد المنصور اليهم وصمم نحوهم تصميم الوائق بالعلى الكبير ، رجاء ان تزل أقدامهم ، وعسى أن يحركهم حمامهم ، وعندما أشرف المسلمون على الحصن المذكور ، وأحدقوا به احداق الهالات بالبدور ، وأكثروا التهليل والتكبير ، والتعظيم للعلى الكبير ، فكادت تتصدع لصيحتهم أكباد الصخور ، ويهتز لصكبتها رميم أهل القبور ، فعند ذلك انصدعت جموع أذفونش وأسلمه أحلافه ، وجعل يتعلق بجباله ، لحرقه وأوجاله .

ولما بلغ المنصور على حصن مجريط فوق ما أمل من المقصود ، وضععت صكة وطئه قاسيات القلوب ، ومزقت فل الكافرين من الحشود والجنود ، وعلم الكافر أنه لا يملك من أمره فتيلة ، ولا يحاول فى كشف ما أنزل الله سبحانه متصرفا ولا تحويلا ، استقبل المنصور بحركته وجه الشرق ، فأخذ من حصن مجريط على وادى الحجارة فى منازل وربوع ، وأشجار وزروع ، فمشى العمل فيها على ما تقدم من الترتيب ، فى الاستئصال والتخريب ، ولما حلت الصاكر بساحتها وانبسطوا على جنباتها تسابق بعض الناس الى البلد وقد كان الكافر شحنها بجملته رجاله وكماته ، وأهل الثقة عنده من حماته ،

نخرجوا الى الطائفة من أتباع المحلة وسوادهم ، فظهروا عليهم فى طرادهم ، حتى توالى السابقون فأكبوهم على أذقانهم ، وأوردوهم بين قتيل وجريح فى أنقابهم وأكفانهم» (١) .

هذا هو نص ابن عذارى حول مناجزة يعقوب المنصور لمجريط نقلناه بنصه لأنه يطلعنا على مدى خطر هذه المدينة التى أصبحت كما نرى من أهم معقل اسبانيا المسيحية وخطوط دفاعها ضد هجمات المسلمين على عكس ما كانت عليه فيما مضى ، وقد بلغ من خطرها أنها كانت أشبه بمعسكر القيادة العامة لجيوش النصرانية ، اذ كان عندها ملتقى قوات مملكتى قشتالة وأرغون Aragon . كذلك نرى أن مهاجمة المنصور الموحدى لها لم تكن بقصد احتلال طويل المدى وانما كانت احدى الفارات التى قصد بها « التخريب والاستئصال » فحسب كما ينص ابن عذارى .

وقد درس المستشرق الاسبانى أويشى ميراندا فى كتابه « تاريخ دولة الموحدين » حملة المنصور هذه مقابلا للنصوص العربية على المسيحية ، فوصف لنا خط سيرها ، وقال ان الجيش الموحدى توجه من قرطبة شمالا الى طليبرة Talavera ، ومنها الى مكادة Maqueda ثم الى طليظلة ، وبعد أن حاصرها سار الى أوريلية Oreja ثم توجه شمالا الى مجريط فاكفى بشن الفارات عليها وانتساف بسائطها ، ويبدو أن جيوش قشتالة وأرغون المؤتلفة احتمت منه بأسوار المدينة، ثم اتجه المنصور شرقا الى قلعة عبد السلام Alcala de Henares وبعدها الى وادى الحجارة ، ثم انحرف الى وبدة Huete فى الجنوب الغربى ، وأقليس Uclés وكونكة Cuenca ، وبعد ذلك قرر المنصور العودة الى قواعده بالاندلس فأخذ على طريق الكرس Alcaraz

(١) ابن عذارى : البيان المغرب - القسم الثالث الخاص بتاريخ الموحدين ، نشر أويشى ميراندا الطبعة الثانية تطوان سنة ١٩٦٠ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

الى أبدة Ubeda وبياسة Baeza ثم الى جيان Jaén وأخيرا عاد الى قرطبة بعد أن استغرقت هذه الحملة ضد طليطلة نحو أربعة شهور (١) .

وتؤكد لنا أخبار المدونات النصرانية ماسبق أن أشرنا اليه في نص ابن عذارى من تحول مجريط الى مركز استراتيجي له خطره في شن الغارات على الأندلس الاسلامية ، فنحن نجد فيها أخبارا عديدة عن الحملات التي وجهها ملك قشتالة الى بلاد المسلمين من هذه المواقع التي كانت في العصور السابقة ثغورا اسلامية جلييلة . من ذلك ما يذكر في أخبار سنة ٦٠٩ هـ (١٢١١ م) من خروج ألفونسو الثامن وابنه وولى عهده فرناندو Fernando بجموع كثيرة من مجريط ووادي الحجارة ووبنة وأقليش ، فاتجها شرقا في الطريق الخارج الى بلنسية وشرق الأندلس فهاجما شاطبة Jativa (٢) ، وخرب المسيحيون في هذه الحملة كثيرا من قرى هذه الجهات ووصلوا الى ساحل البحر الأبيض ثم عادوا وقد أسروا عددا من المسلمين وظفروا بكثير من الغنائم (٣) .

(١) أويثي : تاريخ الدولة الموحدية ص ٣٧٦ - ٣٧٨

(٢) كان من آثار هذه الحملات التي قامت بها جيوش قشتالة من قواعدها في مجريط ووادي الحجارة وغيرها من هذه الثغور على بلنسية وشرق الأندلس أن هاجر كثير من أهلها أما الى المدن الأندلسية التي كانت أكثر متعة وأقل تعرضا للخطر أو الى شمال أفريقية والشرق العربي . ويجدر بنا بهذه المناسبة أن نشير الى عالم مشهور من مدينة شاطبة التي ذكرنا هجوم النصارى عليها هاجر في هذه الظروف المضطربة الى مصر ، ونعني به العالم المفسر القرئ القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي (٥٣٨ = ١١٤٤ - ١١٩٤ م) الذي ألقى عصا التسيار في الاسكندرية حيث طار صيته ، وخُذ اسمُه بعد موته الى اليوم ، اذ اليه ينسب الحى والشاطيء المعروفان باسم الشاطبي بالاسكندرية .

(٣) أويثي : تاريخ الدولة الموحدية ص ٤٢٨

مجريط في ظل المسيحيين

ولا ينتصف القرن الثالث عشر حتى تطوى هذه الصفحات الأخيرة من تاريخ مدريد باعتبارها من ميادين الصراع بين الاسلام والمسيحية في الاندلس ، ولا نعود نسمع بعد ذلك عن أى محاولة جديدة لمهاجمتها من قبل المسلمين ، ولا غرو فقد حددت موقعة العقاب Las Navas de Tolosa الواقعة سنة ٦١٠ (١٢١٢م) آخر مراحل هذا الصراع فى أيام الموحدين ، فقد كان انتصار المسيحيين فيها على جيوش محمد الناصر ممهدا لسقوط القواعد الأندلسية الكبرى مثل قرطبة واشبيلية وجيان ومرسية وبلنسية والجزائر الشرقية (جزر البليار) ويطليوس فى خلال النصف الثانى من اقرن الثالث عشر الميلادى ، وهكذا لم يشرف هذا القرن على نهايته حتى كانت المملكة الاسلامية قد انحصرت فى غرناطة ومالقه والمرية ، أى فى الجزء الجنوبي الشرقى من شبه الجزيرة .

ومع ذلك فقد بقى فى مجريط أو مدريد كما أصبحت تسمى فى ذلك الوقت عدد كبير من أهل الدجن أو المدجنين Mudejares وهم المسلمون الذين احتفظوا بدينهم رغم خضوعهم للحكم المسيحى . ونود بهذه المناسبة أن نذكر حقيقة كثيرا ماتفب على دارسى تاريخ الاسلام فى الأندلس ، هى أن الاسلام والثقافة العربية فى مدن اسبانيا لم يكونا ينتهيان بانتهاء سيطرة المسلمين السياسية أو العسكرية على البلاد ، ولنا فى مجريط مثل واضح على مانقول ، فهذه المدينة تعتبر نسبيا من أقصر مدن اسبانيا عمرا فى الاسلام ، اذ يقدر بقاء المسلمين فيها بأقل من ثلاثمائة سنة من وقت انشائها فى منتصف القرن التاسع الميلادى حتى أواخر القرن الحادى عشر ، ومع ذلك فقد بقيت فيها جالية اسلامية كبيرة منذ ذلك الوقت حتى أوائل القرن السابع عشر أى أكثر من خمسة قرون (١) ، وماذكرناه

عن مدريد يمكن أن يقال عن أكثر مدن اسبانيا حتى ما لم يعرف له تاريخ اسلامي على الاطلاق ، وهذا هو ما يفسر لنا الأثر العميق الذي خلفته الحضارة الاسلامية والعربية في اسبانيا كلها على طولها وعرضها .

هذا وقد ظل عدد المدجنين أو الموريسكيين المسلمين يتناقص في مدريد بالتدريج خلال العصور الأخيرة اما لهجرة كثيرين منهم الى ما بقى من مدن الاسلام في الأندلس أو لاضطرار بعضهم الى التنصر تحت وطأة الاضطهاد الديني الذي تعرضوا له من جانب محاكم التحقيق La Inquisicion . وتحدثنا المراجع التاريخية التي كتبت في القرن السابع عشر عن طرد مجموعة من الموريسكيين من مدريد في سنة ١٦١٠ . وسنورد فيما يلي بيانا احصائيا بهؤلاء المسلمين الذين طردوا في تلك السنة لا من مدريد وحدها التي أصبحت في ذلك الوقت عاصمة اسبانيا ، بل كذلك من بعض المدن والقرى المجاورة لها :

٣٨٩	من مدريد
٧١	من توريجون دي بيلاسكو Torrejon de Velasco
٢٠٣	من باراخاس Barajas (قرية ينسب اليها الآن مطار مدريد)
١٧٤	من طلمنكة Talamanca
١٥٣	من بالديمورو Valdemoro (قرية الى جنوب مدريد تبعد عنها بنحو خمسة وعشرين كيلو مترا ، واسمها يدل على الأثر العربي فيها اذ معناها « وادى العربى »)

(١) سبق أن أشرنا في ثنايا هذا البحث الى أنه كان هناك حي « كبير في مدريد يقيم فيه الموريسكيون المسلمون ، وكان يطل على هذا الحي الواقع في جنوب المدينة أحد أبوابها الكبرى وهو الذى يحمل بالذات اسم « باب المسلمين » .

١٦٠٩	من قلعة عبد السلام	Alcala de Henares
٤١٢٨	من طليطلة	
٩٢١	من وادى الحجارة	
٧٢٤٥	المجموع (١)	

ولا شك فى أن هذه الأرقام لاتدل دلالة صحيحة تماما على عدد المسلمين الذين طردوا من منطقة مدريد ، إذ أننا نعرف أن المؤرخين الاسبان القدماء يتزعون دائما الى تقليل أعداد الموريسكيين الذين حكم عليهم بالطرد توقيا لمهاجمتهم ورمى الحكومة الاسبانية بالتعصب ، ثم تهوينا من شأن النفوذ العربى والاسلامى فى اسبانيا . وهذا هو ما يحملنا على الظن بأن الأعداد الحقيقية للموريسكيين المطرودين كانت أكبر مما ذكر بكثير ، هذا فضلا عن بقى منهم متظاهرا بالتصبر ، ولعلمهم أكثر ممن طردوا بالفعل .

(١) انظر كتاب خاير : الوضع الاجتماعى للموريسكيين فى اسبانيا : JANER :

Condición social de los moriscos de España, Madrid 1857, P. 347

الحياة العلمية في "مجرط" العربية

كانت مجريط العربية كما رأينا قلعة عسكرية
حصينة وبلدا زراعيا ناضرا كثير الخيرات والثمرات
ومدينة حافلة بالتجارة ومختلف ألوان الصناعة فان النشاط العلمي
والثقافي فيها لم يكن دون ذلك . وعلى الرغم من حداثة انشائها
نسبيا فانها لم تخل من علماء ورجال فكر نابهن يفخر بهم ماضيها
الاسلامي ، وستسجل في الصفحات التالية ماوقع لنا من أخبار
حول علماء مجريط العربية أو أولئك الذين هاجروا من هذه المدينة
أو اليها من الشخصيات البارزة في شتى ميادين الثقافة .

وأول من نعرفه ممن اشتهر من العلماء المجرطيين هو أبو عثمان
سعيد بن سالم الذي كان من أشهر المحدثين في منطقة الشرف الأدنى ،
ويبدو أنه لم يجاوز دائرة بلده وما حوله ، فالمرجع لا تذكر من
أساتذته إلا وهب بن عيسى الطليطلي وهب بن مسرة الحجارى
(من وادى الحجارة) وكان كلاهما من أشهر العلماء بالحديث في
الأندلس ، أما سعيد بن سالم المجرطى فقد توفى في بلده سنة
٣٧٦ (٩٨٦) في عهد الحاجب المنصور بن أبى عامر بعد أن بلغت

منزلته درجة عظيمة بين أهل الثغر ، فقد كان طلبة هذه المنطقة يرحلون اليه للسمع منه (١) .

ومن الأسر المجريطية المعروفة أسرة بنى حماد التي كان من أول ممثليها أبو المطرف عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد ، ولد سنة ٣٣٠ (٩٤٢) في خلافة عبد الرحمن الناصر وكان واسع الثقافة ، يدل على ذلك تنوع اتجاهات الأساتذة الذين تلمذ عليهم ، فقد كان من بينهم عدد من أعظم الفقهاء وعلماء الوثائق من أمثال ابن الهندي وابن العطار وابن أبي زمنين الالبيري ، ولغوى ونحوى لاسمه شهرة طائفة في العالم العربي كله مشرقه ومغربيه : هو أبو بكر الزبيدي الاشبيلي . وكان عبد الرحمن بن حماد ثقة في روايته ديناً متواضعاً ، وتوفي سنة ٤٠٧ (١٠١٧ م) عن أكثر من خمس وسبعين سنة (٢) .

ولم يكن ابنه أبو يعقوب يوسف الحمادي أقل منه منزلة ولا شهرة ، ولد في مجريط سنة ٣٩٥ (١٠٠٥ م) ونشأ فيها ، وسمع عن أبيه كل مارواه من كتب ، ثم أخذ عن كبار العلماء الثغريين مثل أبي عمر الطلمنكي وأبي محمد الشنتجالي الطليطلي وغيرهما ، ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، ولقى أناذر الهروي وسمع منه ، كذلك أخذ عن علماء كثيرين بمصر وبرقة وطرابلس ، ثم عاد إلى بلاده حيث كان موقف الإسلام قد بدأ يتحرج بعد تكرار هجمات النصارى على طليطلة وأعمالها ، ولكنه مع ذلك لم يفكر

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم ٥١٥ الضمى : بغية

الملتقى ، رقم ٨٠٦ ، ياقوت : معجم البلدان ٧/٣٩٤

(٢) ابن بشكوال : الصلة ، رقم ٦٨٢

فى مفادرتها ، وظل بها يقوم بالتدريس حتى وفاته سنة ٤٧٣
(١٠٨١) أى قبل سقوط مجريط فى يد ألفونسو السادس بثلاث
سنوات (١) .

وهناك من أهل مجريط من انتقل منها واستقر فى غيرها من
عواصم الأندلس أو الشرق ، اما طلبا للعلم أو قرارا بدينهم بعد أن
استولى المسيحيون على المدينة • ومن أول من نعرفه من هؤلاء
المهاجرين أبو محمد عبد الله بن سعيد المجريطى ، ولد فى أوائل القرن
الرابع الهجرى ، وأخذ العلم ببلده وبطليطة ، ثم انتقل الى قرطبة
حيث تلمذ على علمائها ، ورحل بعد ذلك الى المشرق حيث حضرته
وفاته فى سنة ٣٤٠ أو ٣٩١ (١٠٠٠ - ١٠٠١ م) (٢) .

ومن أشهر هؤلاء المجريطيين المهاجرين أبو نصر هارون بن موسى
ابن صالح بن جندل القيسى الذى انتقل فى شبابه الى قرطبة ،
وكان تلميذا لأبى عمر الطلمنكى وأبى عمر بن عبد البر وغيرهما من
من المحدثين والفقهاء • والى جانب ذلك كان ابن جندل من أكثر
تلاميذ اللغوى الكبير أبى على القالى اتصالا به وقربا اليه ، مما
يحملنا على تقدير مدى ما بلغ من منزلة فى علوم النحو واللفظة
والأدب حتى انه عرف بلقب « النحوى » •

ومن طريف ما يذكره ابن بشكوال عنه خبر عرض له مع أستاذه
القالى لانرى بأسا بأن نورد ههنا لما يصوره من حرص هذا الأدب
المجريطى على العلم ومدى تأثره بالقدوة الطيبة والمثل الصالح
الذى ضربه أستاذه القالى فى الاخلاص للعلم والتضحية فى سبيله •

(١) نفس المرجع ، رقم ١٣٨٧

(٢) نفس المرجع ، رقم ٥٤٨

يقول ابن جندل : كنا نختلف الى ابي على البغدادي رحمه الله وقت أملائه «النوادر» بجامع الزهراء ، ونحن في فصل الربيع ، فبينما أنا ذات يوم في بعض الطريق اذ أخذتني سحابة ، فمما وصلت الى مجلسه الا وقد ابتلت ثيابي كلها ، وحوالي ابي على أعلام أهل قرطبة . فأمرني بالدنو منه وقال لي : مهلا يا أبا نصر ، لا تأسف على ما عرض لك ، فهذا شيء يضمحل عنك بثياب غيرها تبدلها . ولقد عرض لي ما أبقى بجسمي ندويا تدخل معي القبر .

ثم قال (أي أبو على القالي) : كنت أختلف الى ابن مجاهد رحمه الله ، فادلجت اليه لأقترب منه فلما انتهيت الى الدرب الذي كنت أخرج منه الى مجلسه ألفيته مقلعا ، وراث (أي أبطأ) على فتحه ، فقلت سبحان الله ! أبكر هذا البكور وأغلب على القرب منه ؟ ! فنظرت الى سرب بجانب الدار ، فاقتحمته أشد اقتحام حتى نفذت منه بعد أن تخرقت ثيابي وأثر السرب في لحمي حتى انكشف العظم ، ومن الله على بالخروج ، فوافيت مجلس الشيخ على هذه الحال . فأين أنت مما عرض لي ؟ ! .

وأنشدنا :

دنوت للمجد والساعون قد بلغوا
جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا

فكابدوا المجد حتى مل أكثرهم
وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ويكمل ابن جندل حديثه فيقول : فكتبنا الأبيات عنه قبل
يأتي موضعها في نوادره ، وسلاني بما حكاه وهان عندي ما عرض
لي من بلل الثياب . واستكثرت من الاختلاف اليه ، ولم أفارقه
حتى مات رحمه الله (١) .

ونعود الى المهاجرين من أهل مجريط ، فنذكر منهم أسرة
أشتهرت باسم « بنى الحاج » ، كان من أولهم أبو العباس يحيى
ابن محمد بن فرج ، أخذ في بلده عن يوسف بن عبد عبد الرحمن
الحمادي الذي سبق أن تحدثنا عنه ، وكان من أهل المعرفة بالأدب
واللغة ، ويبدو أنه انتقل من بلده بعد أن احتلته جيوش قشتالة ،
فاستقر بقرطبة حيث اشتغل بالتدريس حتى وفاته سنة
٥١٥ (١١٢١ م) في أيام السلطان المرابطي علي بن يوسف
ابن تاشفين (٢) .

ومن هذه الأسرة نفسها أبو الحسن عبد الرحمن بن عيسى
المعروف بابن الحاج ، وكان يلقب بالقرطبي لسكنائه هذه العاصمة ،
وبالمجريطى إشارة الى أصله ، وكان عالما بالقراءات وسائر العلوم
القرآنية ، وكان مولده بمجريط سنة ٤٧٣ (١٠٨١) ، ووفاته
بقرطبة سنة ٥٤١ (١١٤٧) في أول عهد الموحدين بالأندلس (٣) .

ومنها أيضا أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن بن عيسى ، وهو
ابن المتقدم ذكره ، وكان قد أخذ عن أبيه علم القراءات فتيح
فيه ، كذلك تلمذ على كثير من العلماء من أشهرهم الفقيه الأصولي
الكبير أبو بكر بن العربي الاشبيلي ، وولى القضاء في عدة عواصم
أندلسية منها جيان ومرسية وغرناطة ، ثم قدم على قضاء قرطبة

(١) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ١٣٢٧ ، باقوت : معجم البلدان ٧/ ٢٨٨ - ٢٨٩

(٢) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ١٣٣٨ .

(٣) ابن سعيد : المغرب ٢/ ٤٣ - ٤٤

بعد وفاة الفيلسوف الأندلسي الكبير أبي الوليد ابن رشد ، وتخرج
على يديه عدد كبير من أعظم أساتذة الأندلس وشيوخها ، وكان
مولده سنة ٥١٩ (١١٢٥ م) ، وتوفي سنة ٥٩٨ (١١٠٢) (١) .

ومن زملاء يحيى بن عبد الرحمن فى الدراسة عالم آخر
مجريطى أيضا غير أنه استقر بمالقة هو غريب بن خلف بن قاسم
الخطيب القيسى ، فقد روى كذلك عن أبى بكر بن العربى . وله
عدة كتب فى مسائل مختلفة من علوم الدين والفقه منها رسالة
« البيان فىمن أظفر فى يوم من أيام رمضان » . ويذكر ابن الأثير
البلنسى أنه تلمذ عليه وأخذ عنه (٢) .

ونضيف الى هؤلاء شخصية أديب كاتب شاعر من مجريط
لم يحفظ لنا ابن سعيد الا كنيته ونسبته : «أبا عبد الله المجريطى» ،
ويقول فى وصفه أنه كان كثير القلب من حياة المرح واللهم الى
ضدها من الزهد والعبادة : « تارة هو أويس القرنى وآونة ابراهيم
الموصلى » . ويذكر من شعره أبياتا يقول فيها :

لا عذر أوضح من أسيل واضح
صقل الشباب أديمه المشبوبا
لما نظرت الى القرنند بصفحه
ابصرته بدم القلوب خضيبا
ورمى عن اللحظ العليل الى الحشا
سهم المنون فكان فيه مصيبا
هلا سالت لحاظه يوم النوى
هل غادرت لك فى الحياة نصيبا (٣)

(١) ابن الأثير : التكملة ، رقم ٢٠٥٨

(٢) نفس المرجع ، رقم ١٩٦١ من طبعة كوديراوص ٥٢٤ من طبعة الاركون وبلنسية
وانظر كذلك ابن الخطيب : الاحاطة فى اخبار غرناطة ، بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله
عنان ، ص ٥١٢ .

(٣) ابن سعيد : المغرب ٤٣/٢ - ٤٤

على أن أشهر من أنجبته مجريط على الإطلاق من علمائها هو الطبيب الرياضى الفلكى المشهور أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى الذى يعتبر من مفاخر الأندلس عامة ومدريد بصفة خاصة . ولد مسلمة ونشأ بمجريط ، ولكنه سرعان ما انتقل الى قرطبة التى كانت قد أصبحت فى أيام الخليفة العالم الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر أهم مراكز العلم بالغرب الاسلامى كله ، ورحل الى الشرق حيث جمع ذخيرة طيبة من التراث العلمى فى مختلف بلدان الشرق ، ثم عاد الى الأندلس ، فاستقر فى قرطبة حتى وفاته سنة ٣٩٨ (١٠٠٨ م) قبيل نشوب الفتنة فى قرطبة .

وكان مسلمة قد شغف بعلوم الاغريق التى نقلت الى العربية . فأقبل على كتاب المجسطى فى الفلك لبطليموس ، ثم ألف فى أرصاد الكواكب ، فاختصر زيج (أى تقويم) البتانى وعنى بزيج محمد بن موسى الخوارزمى وصرف تاريخه الفارسى الى التاريخ العربى وبداه من تاريخ الهجرة النبوية كما ألحق به زيادات وجداول حسنة ، كذلك ألف كتابا فى « تمام علم العدد » أكمل به كتاب ثابت بن قره وغير ذلك من الكتب التى لم يبق من أصولها العربية الا قليل ، وان كانت معروفة فى العالم الأوروبى كله بفضل الترجمات اللاتينية التى وضعت لها فى العصور الوسطى ثم طبعت فى عصر النهضة . ومن هذه الكتب رسالته فى الأسطرلاب التى ترجمها فى طليطلة جوان الاشبيلى Juan Hispalense ، ثم ترجمته لكتاب الفلك لبطليموس ، وقد نقلها من العربية الى اللاتينية هرمان سيكوندوس Herman Secundus فى تولوز فى سنة ١١٤٣ ، وطبعت هذه الترجمة فى بازل بسويسرا سنة ١٥٣٦ ثم فى البندقية سنة ١٥٥٨ . أما تعديله لزيج الخوارزمى فقد نقله الى اللاتينية فى سنة ١١٢٦ عالم انجليزى كان قد قدم الى طليطلة لى يأخذ العلم على مدرسة الترجمة التى كانت تعمل فيها على

نقل العلوم العربية الى اللاتينية أو الاسبانية ، ويعرف هذا العالم الانجليزى باسم أديلارد دى باث Adelard de Bath ، وكانت هذه المدرسة الطليطية التى ضمت رجلا ينتمون الى الأديان الثلاثة : مسلمين ومسيحيين ويهودا من أعظم المراكز الثقافية الأوروبية التى آتت ثمراتها بعد ذلك فى عصر النهضة ، وكانت تقوم بترجمة أمهات الكتب العربية فى العلوم والطب والفلسفة واللاهوت والأدب الى اللاتينية وعن طريقها تلمذت أوروبا على عرب الأندلس ، ونحن نرى فى قدوم هذا العالم الانجليزى الى طليطلة مثلا ماديا حيا على مدى ما أدته حضارة العرب السمحة الكريمة من خدمات جلية الى أوروبا .

ولمسلمة المجريطى كتابان آخران : «رتبة الحكيم» فى الكيمياء و «غاية الحكيم» فى السحر ، وهما من الكتب التى أشاد بها المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ، وقد ترجم الكتاب الثانى منهما الى الاسبانية فى سنة ١٢٥٢ بتكليف من ملك قشتالة الفونسو العاشر المعروف بلقب العالم Alfonso X el Sabio تحت عنوان «أبقراط» ، أما النص العربى للكتاب فقد تأخر التعريف به حتى سنة ١٩٣٣ حينما نشره المستشرق الألمانى ريتز فى ليبزج .

وينسب الى مسلمة المجريطى كذلك ادخال رسائل اخوان الصفا الى الأندلس ، وقد كان لهذه الرسائل أثر كبير فى النهوض بالفلسفة والعلوم بالأندلس بصفة ملحوظة .

كذلك يعتبر مسلمة خالق مدرسة علمية رياضية طيبة فى الأندلس . ويقول صاعد الطليطلى فى ذلك : « وقد أنجب تلاميذ جلة لم ينجب عالم بالأندلس مثلهم » ، ثم يذكر منهم ابن السمع وابن الصغار والزهرأوى الجراح والكرمانى وابن خلدون وغيرهم (١)

(١) فى ترجمة مسلمة المجريطى أنظر : دائرة المعارف الاسلامية ١٠٠-١٠١ ، صاعد الطليطلى طبقات الامم ص ٩٤ ، بروكلمان : تاريخ آداب العربية ١/ ٢٢٤ =

ولنعرض الآن لطائفة من العلماء هاجروا من بلادهم في الأندلس
أو المغرب الى مجريط واتخذوها مقرا لهم لفترة طويلة أو قصيرة،
ولذلك لأن موقع مجريط باعتبارها نفرا من ثغور الدولة الإسلامية
ومحلا للرباط والجهاد كان مما دفع عددا من أهل العلم والاحتساب
الى النزول بها لحماية هذا الثغر الجليل أو الموت دونه .

ومن أول هؤلاء الفقيه القرطبي ابراهيم بن محمد بن باز
المعروف بابن القزاز ، كان عالما ورعا سميع من يحيى بن يحيى
المصمودي القرطبي كبير فقهاء الأندلس وتلميذ الامام مالك بن أنس
ثم رحل الى مصر فلتقى العلم على جلة فقهاءها من أمثال أبي الطاهر
أحمد بن أبي السرح ويحيى بن بكير ، وحينما عاد ابن باز الى بلاده
تبوأ فيها أرفع المناصب ، فكان من الفقهاء المشاورين المقدمين
فى الفتيا ، على أنه أثر حياة الجهاد ، فخرج الى مجريط للرباط
ومعه خمسة من تلاميذه القرطبيين منهم ابنه أحمد وأبو عبد الله
محمد بن عبد البر وأحمد بن خالد وأحمد بن أبى زرعة . ولكنه
مرض فى الطريق الى مجريط ، فحملة تلاميذه الى طليطلة حيث
توفى ودفن بها سنة ٢٧٤ (٨٨٧) (١) .

ومن هؤلاء العلماء المرابطين محمد بن حنين الاستجى « نسبة
الى استجة Ecija : بلد يقع الى الجنوب الغربى من قرطبة
على الطريق بينها وبين اشبيلية) ، درس فى قرطبة مع أستاذين
من أشهر فقهاء الأندلس فى القرن الثالث الهجرى ، هما : عبيد الله
أبن يحيى بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة ، وكان هذا الأخير

سانتشت بيرث : الرياضيون العرب ، رقم ٨٤ ، ملياس فاليكروسا : دراسات
حول تاريخ العلوم فى اسبانيا ص ٢٧-٢٨ ، جونثال بالنتيا : تاريخ الفكر
الأندلسى ، ترجمة للدكتور حسين مؤنس ص ٤٤٨-٤٤٩ ، أوليفر أسين : تاريخ
اسم مدريد ص ٢٥٣ .

(١) ابن الأبار : التكملة ، تحقيق ابن أبى شنب والفريد بيل طمة الجزائر
رقم ٢ ، وابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، رقم ١٠ .

يكثّر من الثناء عليه. والاشادة به ، وكانت لمحمد بن حنين رحلة ادى فيها فريضة الحج . ثم عاد الى الأندلس فأثر المسير الى الثغر للرباط والجهاد ، وكانت وفاته فى مجريط فى أواخر القرن الثالث أو أوائل الرابع (١) .

ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف بن سلمون التجيبى ، كان من أقلش Uclés (الواقعة الى الجنوب الشرقى من مجريط فى عمل كونكة Cuenca وكانت من الثغور التى أحدثها المسلمون) ، وولد فى سنة ٢١٣ (٩٢٥) ، ودرس فى منطقة الثغر حيث تلمذ على علماء من طليطلة ومجريط نفسها نذكر من بينهم سعيد بن سالم المجريطى الذى سلفت الإشارة اليه وأبى ميمونة دراس بن اسماعيل الفاسى نزىل مجريط ووهب بن عيسى الطليطلى ، ثم رحل الى المشرق فحج وسمع بمكة من أبى بكر الأجرى صاحب كتاب الشريعة ، وأخذ بمصر عن ابن شعبان القرطبى الذى كان أندلسى الأصل . وإن كان قد أستقر بمصر ووصل بها الى رئاسة المدرسة المالكية فى أيام الاخشيديين . ويبدو أن ابن سلمون المذكور كان كثير التردد على مجريط بعد عودته الى الأندلس ، فقد كان تلاميذ الثغر وطلبته يتوافدون عليه للسمع منه بمجريط وكانت وفاة ابن سلمون فى أواخر القرن الرابع الهجرى بعد حياة أخلصها للعلم والجهاد . وكان العالم الأندلسى الكبير ابن الفرضى يعتبر من عداد أصحابه والآخذين عنه (٢) .

ومنهم موسى بن قاسم بن خضر الطليطلى الذى كان من كبار فقهاء الثغر ومحدثيه ، ويظهر أنه انتقل الى مجريط للجهاد بها خلال الفترة التى سبّت سقوطها فى أيدي المسيحيين ، ويذكر

(١) ابن الفرضى - تاريخ ، رقم ١٢٨١

(٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، رقم ٨٠٩ .

انه استشهد فى غزاه فحصى المدينة سنة ٤٤٣ (١٠٥١) ، وهذا المكان يقس فى جنوب شرقى مجريط ملتقى نهري شرنبة والمائنانارس الذى تقع مجريط على ضفته . ومازال ذلك المكان يحمل اسمه العربى محرفا بعض الشيء حتى اليوم اذ يطلق عليه اسم Salmedina .

أما هذه الغزوة فلا نعلم ان كانت فى احدى حملات النصارى الى طليطلة وثغورها قبل أن تسقط تلك العاصمة فى أيديهم بنحو ثلاثين سنة ، أو فى معركة من المعارك التى اشتبك فيها يحيى بن اسماعيل بن ذى النون ملك طليطلة وأحمد المقتدر بن سليمان المستعين بن هود ملك سرقسطة ، وكانت الفتن والحروب بين هؤلاء الأمراء المشؤمين من أجل تنافسهم على ملك بلاد الأندلس هو شر ما أصاب هذه البلاد فى القرن الخامس ، وهو الذى جر أخيرا سقوط طليطلة فى أيدي القشتاليين هى وما حققها من مدن وقلاع كان من جملتها مجريط (١) .

وآخر من نسمع عنهم من الأندلسيين الذين حضرتهم وفاتهم فى مجريط عالم طليطلى آخر يدعى أبا الوليد يونس بن شوقة ، وهذا الاسم الأخير نيز اسباني قديم El Chueco ومعناه « الأعور » ، وهو يدل على أن أصل هذا العالم من مولدى الأندلس . وكان من تلاميذ الامام القرطبى الكبير أبى عمر بن عبد البر وغيره من الفقهاء والمحدثين ، وكان خيرا فاضلا تغلب عليه رواية الحديث الشريف والزهد وقصص العبادة والصالحين مما كان يعرف فى الأندلس باسم «الرقائق» كما كان واسع العلم بمسائل الفقه ويقول ابن بشكوال فى ترجمته انه كان بارا باخوانه جميل المعاشرة لهم من أحسن الناس خلقا وأكثرهم بشاشة وانه كان لا يخرج من منزله الا لأمر مؤكد ، وتوفى فى ربيع سنة ٤٧٤ (أغسطس سنة ١٠٨١)

(٢) ابن بشكوال : الصلة رقم ١٢١٩

أى قبل أن تسقط مجريط فى يد الفونسو السادس بعامين اثنين .
ولسنا نعلم ما إذا كان قد مات على فراشه أو استشهد فى إحدى
حملات النصارى على المدينة ، ولاشك فى أن ضعفهم على كل
ثغور هذه المنطقة كان قد اشتدت وطأته خلال هذه السنوات (١) .

وإذا كانت مجريط من الثغور التى أغرت كثيرا من الأندلسيين
من أهل الرباط والاحتساب بالقدوم إليها من أجل الذب عن الاسلام
والدفاع عن أطرافه ، فإن ذلك الهدف ماكان ليفوت نفرا من رجال
المغرب الأقصى الذى كان منذ انتظامه فى سلك العالم العربى من
أجل معاقل الاسلام وأعظم شعوبه حماسا لرفع رايته والحفاظ
على أطرافه ، ولا عجب فقد كان لأهل المغرب أعظم الفضل فى ضم
الأندلس الى رقعة العالم العربى منذ وطئت قدما طارق بن زياد
النفزى أرض هذه البلاد فى سنة ٩٢ (٧١١ م) ، فقد كان كثير من
المغاربة يفتدون الى الأندلس برسم الجهاد والرباط ، وذلك قبل أن
يظلم المغرب وحده بانقاذ مابقى من التراث الاسلامى فى هذه
البلاد على يد البطل الصحراوى يوسف بن تاشفين فى سنة
٤٧٩ (١٠٨٦ م) .

ونحن نجد من مظاهر ذلك وفود اثنين من فضلاء المغرب الى
مجريط خلال القرن الرابع الهجرى . أما أولهما فلا نعرف الا
اسمه الأول وهو جساس السجلماسى المعروف بالزاهد وكانت له
رحلة الى المشرق ، ثم عاد الى بلاده ، ولكنه آثر أن يجوز الى
هذا الثغر القصى من ثغور المسلمين ، ويبدو أن اقامته امتدت
طويلا فى مجريط ، وأهم ماينسب اليه هو اذاعته لكتاب فى
« الزهد » ألفه متصوف أندلسى يدعى يمن بن رزق التطيلي
(نسبة الى تطيلة Tudela من مدن الثغر الأقصى قريبة من

(١) نفس المرجع ، رقم ٢٤٠٠

سرقسطة) . ويبدو ان هذا الكتاب لم يكن مما يرضى عنه أهل السنة المتشددون سواء من الأندلس أو أفريقية ، إذ اتفق فقهاء القطرين على تحريم قراءته ، وربما كان يتضمن من مظاهر التطرف والغلو أكثر مما يوحى به عنوانه ، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر الزاهد السجلماسى فى نشره وروايته بمجريط ، وتناقله هناك عنه كثير ممن كانوا يترددون على الثغر من عباد ونسك ومرابطين سواء من أهل الأندلس أو من الغرباء الذين القوا برحالهم فى هذه المدينة ، وكان من رواة هذا الكتاب عبد الرحمن بن خلف ابن سلمون التجيبى الأقلبشى نزىل مجريط الذى سبق أن تحدثنا عنه (١) .

وفى وسعنا أن نستخلص مما ذكره المؤرخون حول حياة جساس السجلماسى أنه كانت فى مجريط جماعات من غلاة الصوفية أثرت أن تفر الى هذا الثغر القصى بعقائدها التى لم تكن تتلاءم مع الإيمان السنى الصريح الجارى على مذهب أهل السلف مما كانت تدين به الكثرة الغالبة من الشعب الأندلسى ومما كان الخروج عليه يعتبر بدعة جديرة بأن يتعقبها الفقهاء الأندلسيون المتشددون .

وأما الثانى فانه أشهر من سابقه صيتا وأرفع مكانة ، فهو أبو ميمونة دراس بن أسماعيل الفاسى الذى يعتبر من أعظم من أخرجته فاس من الأئمة والعلماء ، وفى حياة دراس هذا مثل وعبرة فقد أنفقها كلها بين علم ورباط ، وله رحلة الى المشرق حج فيها ، ثم أخذ العلم بمصر ، فلقى بالاسكندرية عالمها وفتيها ابن أبى مطر وسمع منه كتاب ابن المواز ، ثم استقر زمنا فى أفريقية «تونس» حيث حدث بهذا الكتاب الذى يعتبر من ثمرات المدرسة المصرية

(١) أنظر عن جساس هذا مقالى عن « كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسى »

- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدير - المجلد الرابع سنة ١٩٥٦ ص ٨٢

حاشية (١) .

فى الفقه المالكى ، وغنه أخذه هناك الفقيه ابن القابسى الكفيف
ومن القيروان أتى بكتاب « المدونة الكبرى » لفقيهها المشهور
عبد السلام بن سعيد الشهير بسحنون ، فكان أول من أدخله
بفاس عاصمة المغرب ، ولم يكتف بما نشر من علم ، وبما وثق من
علائق فى ميدان الثقافة بين شعوب الشرق والمغرب ، اذ جاز
أيضا الى الأندلس ، ويقول ابن الفرضى عنه انه « تكرر فيها طالبا
ومجاهدا ، فكان مترددا فى الشفر ، وسمع منه غير واحد » .
وأخيرا عاد الى بلده فاس ، فتوفى هناك سنة ٣٥٧ (٩٦٧) ،
ودفن عند باب الجديد من أبواب عدوة القرويين فى سورها الغربى .

وقد كان ثغر مجريط من الثغور الأندلسية التى تردد عليها
هذا العالم المجاهد الذى ضرب للمسلمين فى أيامه مثلا صالحا
وقدوة حسنة ، فنحن نراه ينقل علم مصر الى القيروان « تونس »
وعلم القيروان الى فاس « المغرب » وعلم فاس الى أقصى ثغور
الأندلس على مشارف المملكة المسيحية فى مجريط ، ثم هو الى
جانب ذلك مرابط يجاهد فى سبيل الله بيده ولسانه ، تعمده الله
برحمته (١) .

٢

(١) فى ترجمة أبى ميمونة أنظر ابن الفرضى : تاريخ ، رقم ٤٢٢ ، وابن أبى زرع :
روص القرطاس ١٥٤/١ ، السلاوى الاستقصا ٢٠٠/١ . وقد ذكر ابن أبى زرع
والسلاوى فى أحد قوليه ان وفاته كانت فى سنة ٣٦٢ ولكن هذا الاخير رجح التاريخ
الذى أورده وهو ٣٥٧ . أما الباب الذى دفن عنده أبو ميمونة من أبواب فاس
فقد سماه ابن الفرضى « باب الجيزين » ، وظننا فى أول الامر ان هذا اللفظ تحريف
للباب المعروف اليوم باسم « باب الجيسة » المنسوب الى عجيسة بن دناس بن
حمامة المروانى . انظر روض القرطاس ١/٥٦ ، ١٧٤) ولكننا استعدنا ذلك اذ ان هذا
الباب قد تأخر بناؤه الى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ورجحنا كونه « باب
الحديد » الذى ذكر ابن أبى زرع أنه يخرج منه الى وادى فاس وإلى جبل فلزاز
(روض القرطاس ١/٥٥) .

ونختم هذه السلسلة من رجال مجريط وعلمائها بالإشارة الى شخصيتين من معالم الثقافة الأندلسية لم تكن مجريط مسقط رأسيهما وان كان من الممكن اعتبارهما منها الى حد ما ، فقد كانا من بلدة مجاورة تتبع الآن عمل مدريد وتربطها بهذه العاصمة تاريخ مشترك وصلة وثيقة ، هي طلمنكة Talamanca .

فقد رأينا عند حديثنا عن مولد مجريط أن طلمنكة كانت قرينة لها ، إنشأها العرب أيضا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، بل في نفس الوقت الذي أسست فيه عاصمة اسبانيا المستقبلية ولنفس الأهداف العسكرية التي رمى اليها ذلك الأمير الأندلسي العظيم . وسرعان ما تحولت هذه القرية الضئيلة المغمورة على أيام الرومان الى مدينة حصينة من أجل مدن الثغور في ظل المسلمين وكانت تقرر دائما بمجريط ، وان اختلف حظ البلدين بعد ذلك ، فاذا بمجريط تنمو وتزداد عمراناً وترتفع مكانة حتى تتحول الى عاصمة اسبانيا كلها ، بينما تقفر طلمنكة ويحل بربوعها الخراب حتى تعود اليوم كما كانت قبل العرب : قرية متواضعة تجثم في انكسار حزين على مجرى نهر ثرنبة ، لا يسكنها اليوم الا بضعة مئات من الناس .

وكانت طلمنكة التي تقع الى شمال مجريط منحرفة قليلا نحو الشرق على بعد ثمانية وأربعين كيلو مترا منها هي آخر الثغور الاسلامية المطلة على جبال وادي الرمل ، في موقع استراتيجي عظيم الخطر ، اذ كانت تشحك في الطرق التي تربط طليطلة ومجريط ووادي الحجاره بما وراء جبال وادي الرمل من حدود اسبانيا المسيحية ، فقد كان يمر بها الطريق الرئيسي الذي يخترق هذه الجبال عبر الفج الضيق الذي مازال حتى اليوم يدعى « فج وادي الرمل Puerto de Guadarrama » . ولهذا فان كل حملة كان يوجهها المسلمون في هذه المنطقة الى اسبانيا المسيحية أو

المسيحيون الى الأندلس كانت لاتجد بدا من المرور بظلمنكة . ولهذا السبب نفسه تضاءلت قيمة هذا الثغر بعد ذلك حينما بسط المسيحيون سلطانهم على طليطلة والبلاد التابعة لها ؛ اذ لم تعد ثغراً ولا قاعدة عسكرية لها وزن أو خطر ، لاسيما وأن هذا الطريق الذى يخترق جبال وادى الرمل قد هجر فيما بعد وتحول الناس فى انتقالهم بين شمال اسبانيا وجنوبها الى طرق أخرى كان أهمها وأكبرها هو المار بمديريد (١) .

. اما ظلمنكة العربية فقد أخرجت عددا من كبار العلماء يذكر منهم ابن سعيد المغربى رياضيا كيميائيا شاعرا يدعى غانم بن الاسقطير الظلمنكى ، وكان كما يبدو من اسمه من أصل مولد ، اذ أن لفظ «الاسقطير» هو الرسم العربى لاسم ما زال شائعا حتى اليوم فى اسبانيا هو Escudero (ومعناه «حامل الدرع» ، وكان يطلق على التابع الذى يرافق أحد الفرسان) ، وكان على صلة بابن ذى النون ملك طليطلة فى عصر الطوائف ، ويبدو لنا انه كان من تلاميذ تلك المدرسة الرياضية العلمية التى ازدهرت فى طليطلة والتى وضع دعائمها مسلمة المجريطى (٢) .

على أن اكبر علماء ظلمنكة وأشهرهم هو أبو عمر الظلمنكى (٣) الذى ولد فى سنة ٣٤٠ (٩٥١) ، واسمه الكامل هو أحمد بن

(١) حول ظلمنكة وماضيها العربى أنظر مقال المؤرخ الأثرى الاسبانى ليوبولدو توريس بلباس : لظلمنكة وطريق وادى ثرنية المهجور ، مجلة الجمع التاريخى الملكى بمديريد سنة ١٩٦٠ ، المجلد ١٤٦ ، ص ٢٣٥-٢٦٦ .

(٢) ابن سعيد : المغرب ٢/٤٢ .

(٣) فى ترجمة الظلمنكى راجع ابن يشكوال : الصلة ، رقم ٩٠ ، الضبى : بغية الملتبس ، رقم ٣٤٩ ، أسنن بلائوس : ابن حزم القرطبى ١٠٠/٨ ، بونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ص ١١٨-١١٩ ، وأوليفر أسنن : تاريخ مديريد ص ٢٤٨-٢٥٢ .

عبد الله بن لب بن يحيى بن محمد بن قرلمان المافرى . ويبدو أنه كان من أصل مولد كذلك اذ نجد فى سلسلة نسيبه اثنين من أجداده يحملان اسمين من أصل لاتينى : لب Lope وقرلمان Carloman . وقد انتقل أبو عمر فى شبابه الى قرطبة وأخذ عن كبار علمائها من أمثال ابن مفرج القاضى وأبى محمد الباجى وأبى بكر الزبيدى الاشبيلي ، ثم رحل الى المشرق فحج ولقى علماء مكة والمدينة والقاهرة ودمياط والقروان وغيرها من عواصم المشرق والمغرب ، وعاد الى الأندلس بعلم كثير ، فتولى الإمامة بقرطبة وتلمذ بها عليه كثير من علمائها ، ثم خرج بعد الفتنة الى سرقسطة ف قضى بها سنوات منصرفا الى التدريس ، ولكنه تعرض لمحنة شديدة سنعرض لها ببعض التفصيل ، وأخيرا عاد الى بلده طلمنكة حيث قضى آخر سنى حياته حتى توفى سنة ٤٢٩ (١٠٣٨ م) .

وكان أهم ما برع فيه أبو عمر الطلمنكى علوم القرآن ، فقد أتقن قراءاته وأحكامه وناسخه ومنسوخه ومعانيه ، ولهذا فإن مترجميه يتبعون اسمه دائما بلقب «المقرئ» ، كذلك كان عالما بالحديث الشريف ونقله وروايته وضبطه ومعرفة رجاله حافظا للسنن جامعا لها عارفا بأصول الديانات .

وكان متمسكا بتعاليم السلف وبالإيمان السننى الصحيح شديد المقت لكل ما تشتم منه رائحة البدعة ، ولهذا فانه كان عنيفا على أهل الأهواء صارما فى التنديد بهم ، مما جعل بعض فقهاء سرقسطة يتظاهرون عليه ويتهمون به بأنه خارجى يبيع سفك دماء المسلمين ، وقد سجل عليه الشهادة فى ذلك خمسة عشر فقيها من فقهاء سرقسطة اجتمعوا فى دار محمد بن رافع بن غريب . وكان لهذا الاتهام ضجة كبيرة فى الأندلس ، وقدم أبو عمر للمحاكمة ، ودافع عنه بعض محبيه والمعجبين به ، وأخيرا حكم

قاضى مرقس سبطنة محمد بن عبد الله بن فرتون ببراءته ويتخاضل
ويظهر أن أبا عمر الظلمنى كان شديد التعلق ببلده ومنسقط
رأسه ، إذ أنه بعد أن حاب العالم الإسلامى كله ثم ذرع الأندلس
حيث طار صيته وتلمذت عليه أجيال من علمائها - يكفى أن نذكر
منهم المفكر الأندلسى العظيم ابن حزم والمحدث أبا عمر بن عبد البر -
الضالعين عليه ، وكان ذلك فى سنة ٤٢٥ (١٠٣٤) .
إذا بنا نراه يؤثر أن يقضى ما بقى من عمره فى ظلمنكة حيث يلتف
به تلاميذ الثغر الأدنى كله ولا سيما طلبة مجريط . وعلى الرغم
من كبر سنه فى ذلك الوقت فإنه لم يتصرف عن التدريس والإفادة
حتى رmqه الأخير . ويذكر عنه أحد تلاميذه وهو عيسى بن محمد
الحجارى (من وادى الحجارة) أنه قال :

« خرج علينا أبو عمر الظلمنى يوما ونحن نقرأ عليه ، فقال :
اقرأوا واكثروا ، فانى لا أتجاوز هذا العام ! فقلنا له : ولم يرحمك
الله ؟ فقال : رأيت البارحة فى منامى منشدا ينشدنى :
اقتسموا البر بشيخ ثوى ترحمه السوقه والصييد
قد ختم العمر بعيد مضى ليس له من بعده عيد
قال : فتوفى فى هذا العام » .

ويبدو لنا أن مجريط وظلمنكة قد أصبحتا فى عصرهما
الإسلامى مركزين لمدارس بقبية أصيلة متميزة ، من جنس تلك
المدارس الكثيرة التى نراها فى الأندلس مشغولة بفروع الفقه
معتدة بالتقليد المحلى المتوارث المعروف باسم « العمل » ، أى ما
اصطلح فقهاء موضع من المواضع على الأخذ به ، وهو مبدأ قاسه
أهل الأندلس على « عمل أهل المدينة » الذى اعتبر فى الفقه
المالكى أصلا يضاف الى الأصول الأربعة الأخرى وهى القرآن
والتسنة والقياس والاجماع . وكان من آثار ذلك ما اتفق عليه

فقههاء الأندلس من الاعتداد بعمل أهل قرطبة أى العرف الذى جرى عليه علماء العاصمة الأندلسية الكبرى . وقد قيست على ذلك أعمال أخرى أشهرها فى بلاد المغرب « عمل أهل فاس » ، كذلك أصبح فقهاء كل اقليم من أقاليم الأندلس يعتدون بالعمل الجارى بينهم ويعتبرونه عرفاً له قوة القانون . ولكن بعض المجتهدين من فقهاء الأندلس رأوا فى هذه الأعمال خطراً قد يؤدى بالفقه الإسلامى الى الجمود ، ومن هنا هاجموها وحملوا عليها حملة شديدة . ونحن نرى من مظاهر ذلك النقد الشديد الذى وجهه الفقيه المتحرر أبو بكر بن العربى الاشبيلى لأمثال تلك المدارس الفقهية فى كتابه « العواصم من القواصم » حيث يقول :

« وجعل الخلف منهم (أى من فقهاء الأندلس) يتبعون السلف حتى آلت الحال الى أن ينظر فى قول مالك وكبراء أصحابه ويقال قد قال فى هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة وأهل طلبيرة (فى الأصل : صلبوة وهو خطأ) وأهل طليطلة . وصار الصبى اذا عقل وسلکوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى ثم نقلوه الى الأدب ثم الى الموطن ثم الى المدونة ثم الى وثائق ابن العطار ثم الى أحكام ابن سهل ، ثم يقال : قال فلان المجريطى وابن مغيث - لا أغاث الله ثراه ! - فارجع القهقرى ، ولا يزال الى ورا . ولولا أن الله تعالى من بطائفة تفرقت فى ديار العلم وجاءت بلباب منه كالتقاضى أبى الوليد الباجى وأبى محمد الأصيلى ، فرشوا ماء العلم على هذه القلوب الميتة وعطروا أنفاس الأمة الذفرة لكان الدين قد ذهب » (١) .

(١) نقل هذا النص عن ابن العربى الاشبيلى فى ترجمة أبى الوليد الباجى ابن فرحون فى كتاب « الديباج المذهب » ص ١٢١ وكذلك السلاوى فى كتاب الاستقصا ١٤١/١ .

فنحن نرى من هذا النص كيف يحمل الفقيه الأندلسي المشهور على هذه «الأعمال» التقليدية ويعتبرها من مظاهر الجمود ، وهو يختص بالذكر منها بعد قرطبة عمل أهل طلمنكة وطليبة وطيطة ، وأشارته الى ابن مغيث الطليطلى صاحب كتاب «المقنع فى الوثائق» صريحة لا مواربة فيها . أما ما ذكره عن طليبة وطملمنكة ومجريط فانه لا يصرح بأسماء فقهاء الذين أصبح عملهم أساسا من أسس الفقه المالكي الأندلسي فى اقليمهم ، ولكننا نستخلص من هذا أن مجريط وطملمنكة كان لهما «عمل» فقهي محترم على الأقل فيهما وفيما يجاورهما من بلاد الثغور .

وقد نوه الجغرافيون والمؤرخون المسلمون قديما بمجريط ، فتحدث عنها الشريف الإدريسي مرتين فى جغرافيته ، فقال انها تقع فى اقليم الشارات (بتشديد الراء) ، وهو تعريب لفظ Sierras الاسباني بمعنى سلسلة الجبال ، يقصد جبال وادى الرمل وذكرها فى موضع آخر فقال انها «مدينة صغيرة وقلعة منيعة معمورة ، وكان لها فى زمن الاسلام مسجد جامع وخطبة قائمة» (١) ، ووصفها كذلك صاحب كتاب «ذكر بلاد الأندلس وفضلها وصفتها وذكر أصقاعها» فى نص سبق أن أوردنا خلاصته . وأفرد لها ياقوت فى «معجم البلدان» مادتين أشرنا اليهما أيضا ، وأما ابن سعيد المغربى فان لما كتبه عنها على الرغم من ايجازه وقلة مادته قيمة جغرافية خاصة ، اذ هو يضعها فى الاطار العام الذى وضعه لجغرافية الأندلس الأدبية مؤلف من نفس هذه الجهات هو الحجارى «نسبة الى وادى الحجارة» ، وهذا هو

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ص ١٧٥ ، ١٨٨ .

مايحملنا على أن نشير الى ذلك التقسيم الذى أورده ابن سعيد نقلا عن الجارى المذكور لأجزاء مملكة طليطلة ، التى أفرد لها الكتاب الأول من كتب «الشفاه اللعى فى حلى موسطة الأندلس»، وكتاب طليطلة المذكور يحمل عنوان «النفحة المندلية فى حلى المملكة الطليطلية» . ثم يقسم ابن سعيد هذا الكتاب بدوره الى ثمانية كتب هى :

- ١ - الدور المكمل فى حلى مدينة طليطلة (Toledo)
- ٢ - الطرس المرقش فى حلى قرية وقش (Huecas)
- ٣ - ملح العبرة فى حلى مدينة طليطلة (Talavera)
- ٤ - الفرارة فى حلى مدينة وادى الحجارة (Guadalajara)
- ٥ - صفقة الرباح فى حلى قلعة رباح (Calatrava)
- ٦ - نقش السكة فى حلى مدينة طلمنكة (Talamanca)
- ٧ - التغبيط فى حلى مدينة مجربط (Madrid)
- ٨ - السعادة فى حلى قرية مكادة (Maqueda)

ولعل أوفى ما جاءنا فى وصف مجربط هو ما كتبه الجغرافى السبتي ابن عبد المنعم الحميرى فى كتاب «الروض المعطار» ، وقد نقلنا جملة فيما سبق . هذا فضلا عن الأخبار التاريخية التى وافانا بها ابن حيان وابن عذارى وغيرهما من مؤرخى الأندلس والمغرب وقد استصفيناه فى هذه الدراسة .

٤ —————

(١) جاء هذا العنوان فى طبعة المغرب « بتحقيق الدكتور شوفى ضيف ٧/٢ » هكذا « ملح العبرة فى حلى مدينة طليطلة » ، ونظن أن الصواب ما ذكرنا إذ ليس هناك فى الأندلس مدينة تحمل اسم « طليطلة » ، ثم ان التقسيم الجغرافى يقتضى أن يكون الكلام هنا عن مدينة طليطلة ، وقد قمنا بقراءة لفظ « العبرة » هكذا بالتصغير حتى تستقيم السجعة مع اسم طليطلة المذكور .

خاتمة



رأينا فى الصفحات السابقة صوراً من حياة مجريط مدريد العربية التى لم تكن كما ظن بعض الباحثين سواء منهم العرب أو الأوربيون بلداً ضئيل القيمة فى أيام الحكم الإسلامى لشبه الجزيرة الأندلسية ، بل كانت من أهم ثغور الأندلس ومدائنها الجليّة منذ أن اضطلع ببنائها الأمير الأموى محمد بن عبد الرحمن الذى أقبل فى منتصف القرن الثالث الهجرى « التاسع الميلادى » على إنشاء نطاق من كبريات الحصون فى تلك المنطقة الوسطى من هضبة شبه الجزيرة على السفوح الجنوبية لجبال وادى الرمل ، متنبهاً ببعد نظره ونفاذ بصيرته الى مالها من قيمة عسكرية كبرى . على أن الحياة ماكانت لتنتظم فى مدريد بغير ذلك النظام العبقري الذى أجرى به العرب أنهاراً من الماء العذب فى باطن أرضها لتستقى منه منازلها وحدائقها والمروج المحيطة بأسوارها ، ولولا هذا النظام لما طمعت مدريد فى أن تصبح فى يوم من الأيام عاصمة للقطر الأسباني كله . وإلى هذا النظام نفسه ترجع تسمية المدينة باسم « مجريط ... » المدينة ذات الجارى الكثيرة من المياه الجوفية العذبة ... ذلك الاسم الذى نجد فيه جماع تاريخ العاصمة الأسبانية وسر وجودها .

وقد رأينا مما عرضناه كيف كانت مجريط على عهد المسلمين
تفرا يقصده المجاهدون وتتوجه منه الحملات الى اسبانيا
المسيحية ، وكيف كان أمراء الأندلس وخلفاؤها يحرصون على أن
يختاروا لحكمه رجالا لهم مركزهم وخطرهم ، بل أننا رأينا كيف
حاول أحد الفاطميين الأندلسيين أن يعلن نفسه خليفة فى مجريط
ولو تم له ذلك لرأينا مجريط قاعدة للأندلس كلها قبل أن تصبح
عاصمة لاسبانيا بأكثر من خمسة قرون .

كذلك شهدنا مظاهر حياة مجريط ... هذا البلد الذى
كانت تحفه الخضرة وتمتد الجنات والحدائق تحت أقدام أسواره
والذى ما زالت معالمه العمرانية تحمل كثيرا من الأسماء العربية ..
شاهدا على هذه الحضارة التى حملها العرب الى اسبانيا واشتركت
فى بناء صرحها خلاصة فذة مختارة من مزاج الدماء العربية
والاسبانية

مجريط ذات التاريخ الثقافى العريق ، والتى أخرجت
عددا كبيرا من الفقهاء والشعراء واللغويين والنحاة والرياضيين
والفلكيين والكيميائيين ممن قدموا عصارة انتاجهم فى سخاء وكرم
لكى تؤلف منها أوربا تركيب نهضتها . مجريط التى كانت فيها
روابط للزهاد والصوفية ممن اتخذوا من هذا الثغر ميادنا لجهاد
النفس وتطهيرها والانقطاع الى حياة التأمل الروحى العميق .

وبعد ، فإن لنا كلمة أخيرة نتوجه بها الى الجهات القائمة
بشئون العاصمة الاسبانية : أن اسبانيا عرفت خلال هذا القرن
كيف تتخلص من التعصب وكان من فضائل علمائها وقادة
العصر فيها أنهم أصبحوا فى السنوات الأخيرة يعترفون بفضل
الحضارة التى حملها العرب اليهم والتى تركت فى بلادها آثارا

لا يمكن أن يعفى عليها الزمن ، بل أن عالما من مدريد هو الذى كشف عن أصل هذه المدينة العربى وعمد تدين به من الفضل لتلك الدماء الجديدة التى حملها الى بلاده موسى بن نصير وطارق بن زياد والتى ولد من امتزاجها بدماء الاسبان شعب عبقرى جمع مزايا الشرق والغرب .

اسبانيا التى أصبحت تعزز بتلك الحضارة الاسلامية وتعتبرها جزءا لا يتجزأ من تاريخها العام ومظهرها من مظاهر عالميتها الواسعة ... اسبانيا التى كان من أعظم مظاهر تحررها من التعصب وضيق الأفق أنها خلدت الذكرى الألفية لإعلان خلافة عبد الرحمن الناصر بها منذ خمس سنوات فى شاهد كتب بالعربية والاسبانية مازال ماثلا أمام مسجد قرطبة الجامع . اسبانيا التى احتفلت منذ سنتين بالذكرى المئوية التاسعة لوفاة الفيلسوف الفكر العربى بن حزم وأقامت له تمثالا فى قرطبة سجلت عليه وفاءها للذكرى هذا العلم من أعلام الثقافة العربية فى احتفال ترددت أصداؤه فى العالم كله ...

اسبانيا هذه ... ترى من الكثير أن نطلب اليها والى القائمين على أمور عاصمتها أن تخلد ذكرى ذلك الأمير الأندلسى محمد بن عبد الرحمن الذى يرد الفضل فى بناء مدريد بأن تقيم له تمثالا رمزيا فى بعض ميادينها الكبرى أو شاهدا فى بعض أحياء مجريط العربية يسجل انشاء العاصمة الاسبانية على يد ذلك الأمير العبقري ، أو تطلق اسمه وأسماء نفر من كبار علماء مجريط العرب على بعض الميادين أو الشوارع الكبيرة فى عاصمة اسبانيا الجميلة ؟ .

لسنا نظننا مطالبين اياها بما لا تطيق !



ملحق

**ثبت بأسماء بعض الأعلام الجغرافية ذات الأصل العربى
فى أقاليم طليطلة ووادى الحجارة ومجريط**

- فى طليطلة Toledo :

- Alamin — الفهمين (نسبة الى قبيلة « فهم » العربية)
- Alcolea — القليعة (تصغير « القلعة »)
- Algibe — الحب (أى البثر)
- Almadenes — المدائن (جمع مدينة)
- Aliman — الأيمن
- Almadraz — المدرس (المكان الذى تدرس فيه الغلال)
- Almonacid — المنستير (هذا اللفظ وان كان العرب قد استخدموه كثيرا فانه فى الحقيقة من أصل لاتينى هو monasterium أى الدير ، وهو يطلق كذلك على بلد فى تونس حتى اليوم)
- Almorox — المروج (جمع المرج)
- Aloyon — العيون (جمع العين)
- Allozar — اللوز (كلمة مولدة تتألف من « اللوز » أضيفت اليها النهاية الاسبانية ar — التى تعنى المكان ، فمعنى اللفظ المكان الذى يكثر فيه شجر اللوز)

- Añoover — النوايل (جمع النائلة أى العطية)
 Argés — أرجاس (جمع رجس ، يقصد به المكان الذى
 تلقى فيه القمامة)
 Atarfa — الطرفاء (نوع من النجر)
 Azaña — السانية (بمعنى الناعورة)
 Azorejo — السور (كلمة مولدة من « السور » والنهاية
 ojo — التى تدل فى الاسبانية على التصغير)
 Azuqueica — الزقية (تصغير لكلمة الزقاق على غير قياس)
 Borox — بروج « « جمع برج »
 Darabalez — دار أبى العيش أو أبى الليث (اسم علم)
 Daramazan — دار المحصن (أى المكان المنيع المحصن)
 Guadalerza — وادى الأرز (نسبة الى شجر الأرز)
 Gaujarax — وادى شرس
 Maqueda — مكادة (من الأصل العربى مكد بمعنى ثبت
 واستقر)
 Mazarambroz — معصر عمروس : عمروس اسم علم ، نراه
 متكررا فى المراجع التاريخية الأندلسية مطلقا
 على أسرة مشهورة كانت تتولى بعض مدن
 الشرف ولا سيما فى منطقة طليطلة (
 Mazaravea — منزل عبيد الله (اسم علم)
 Mazarrazin — منزل رزين « « رزين » اسم علم (
 Romaila — رميلة (تصغير «رملة»)

— فى وادى الحجارة GUADALAJARA :

- Alaminos — الفهمين (نسبة الى قبيلة «فهم» العربية ،
 الذى أشرنا اليه فى طليطلة)

- Alboreca — القرية
- Alcarria — البريقة , تصغير « البركة » (
- Alcolea — القليعة (تصغير « القلعة »)
- Alcoron — القرون (بمعنى القمم الشاهقة)
- Alcoroches — الخروج (معضافة — الدالة على الجمع)
- Aldovera — الدويرة « تصغير « الدار »)
- Algar — الفغار
- Algarga — الفرقد (شجر ينسب اليه كذلك موضع فى المدينة المنورة : مدفن «بقيع الفرقد»)
- Algora — الفورة
- Almoguera — المغارة
- Almonacid — المنستير (وهو اسم سبق أن ذكرناه فى طليطلة أيضا)
- Alovera — الحويرة (تصغير لفظ «الحورة» أى شجرة الحور)
- Alocén — الحصين (تصغير لفظ «الحصن»)
- Alpedrete — البطريط , لفظ مولد من أداة التعريف العربية وكلمة pedrete — اللاتينية الدارجة ومعناها المكان الصخرى كثير الحجارة)
- Alpedroches — البطروج (لفظ مولد من أداة التعريف العربية وكلمة pedroches — أى شجر البلوط)
- Alpetrea — البطرية (لفظ مولد من أداة التعريف العربية وكلمة petrea — أى الصخرية)
- Almuña — ألمنية (بمعنى الضاحية الريفية ، وهو لفظ شائع فى الجغرافية الاسبانية وفى البلاد

العربية أيضا ، ومنه فى مصر مثلا «منية ابن
الخصيب» التى حرفت الى لفظ «المنية»
أحدى محافظات الوجه القبلى فى مصر)

Azañon - السانية (لفظ مولد من كلمة السانية العربية
ومن النهاية الاسبانية on - التى تدل على
التكبير)

Azuqueca - الزريقة (تصغير «الزقاق» على غير قياس)

Balbacil - بعل بسيل (البعل فى الاصطلاح الأندلسى هو
الأرض الخلاء الجافة ويسيل اسم علم)

Benalaque - ابن الحكم (اسم علم)

Bujalero - برج هارون

Bujarrabal - برج الربض

Villacadima - بلدة قديمة (لفظ مولد من اللاتينية
Vila أى مدينة و«قديمة»)

- فى مدريد MADRID :

Algete - الشط

Alpedrete - كلمة مولدة (سبق أن فسرناها فى الكلام
عن وادى الحجارة)

Alua - علوة (أى مرتفع أو ربوة)

Ambroz - عمروس (اسم علم)

Guadarrama - وادى الرمل

Serracines - الشرقيين (كلمة مولدة من «الشرقيين»
والنهاية es - الدالة على الجمع)

Villamalea - بلدة مليحة (لفظ مولد من اللاتينية
Vila أى مدينة و«مليحة»)

كشاف عام

٣٠١ Aragon	أرغون	الاجرى (أبو بكر) : ١١٨
١.٢ Alarcos	الأرك (موقعة)	ابن الأبار البلنسى : ٩١ ، ٩٢ ، ١١٤ ،
١١٧ Eclja	استجة	١١٧
٢١ ، ٢٠ Esteras	استيرش (حصن)	أبله : ١.٥ Ubeda
٣٩		إبراهيم الموصلى : ١١٤
١٢١ ، ١.٥	الاسكندرية :	الابرو (نهر) : Rio Ebro
٢٩	الاسكوريال :	٣٧
Asin	أسين بلاثيوس (ميغيل)	أبله : ٣٨ Avila
١٢٤ ، ٣٥ ، ٣١	Palacios (Miguel)	أحمد بن إبراهيم بن محمد بن يار القرطبي :
١٢ ، ١١	Sevilla	١١٤
١١٧ ، ١.٦ ، ٧١		أحمد بن خالد القرطبي : ١١٧
٣٩ ، ٣٧	Asturias	أحمد بن أبي زرة : ١١٧
٨٨	أستوريش	أحمد بن عبد الله (أبو عمر الطلمنكى) :
٥٢	الأصمعى :	١١٠ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٢٥
١٢٧	الأصيلي (أبو محمد) :	أحمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى
٥٧ ، ٣٢ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٣	الأغريق :	الليثي (عامل مجريط) :
١١٥		٩٢ ، ٩١
١٢٢ ، ١٢١ ، ٥٢ ، ٨	أفريقية (تونس)	بنو الأحمر (سلاطين غرناطة) ، ١١ ،
١٥	بنو الأفضس (ملوك بطليوس) :	١٣
Uclés	أقليش	الأخشيدون : ١١٨
١١٨ ، ١.٥ ، ١.٤ ، ١.٢		أخوان الصفا : ١١٦
ألفونسو الثالث الملقب بالعظيم		الأدريسى : ٢٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٩
Alfonso III, el Magno		١٢٨
٨٨ ، ٣٩	الفنش بن أردون) :	أديلارد دي باث
الفونسو السادس (ملك قشتالة)		de Bath
١٢٠ ، ١١١ ، ١٠٠ ، ٩٩	Alfonso VI	١١٦
		الأردن : ٨

٣٧ ، ١٥
Torre برج الذهب (باتسيلية)
 ١١ : de Oro
 ١٠٣ ، ٩٣ Barcelona برشلونة
 برفة : ١١٠
 بروكلمان : ١١٦
 البسيط Albacete حصن
 اللج : ١١٥
 ابن بشكوال : ١١٠ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٠
 ١٢٤
 الطريط Alpedrete ٤٢ ، ٤١
 بطليموس : ١١٥
 بطلبيوس Badajoz ١٠٦ ، ١٥
 بغداد : ٩٤
 ٤. Albalá (البلاعة (نهر)
 بلاي Pelayo ٣٧
 بلج بن بشر القشيري : ٧
 بلد الوليد Valladolid ٦٢
 بلنسية Valencia ٧٧ ، ١٠٥ ، ١٠٦
 بنبلونة Pamplona ٣٧
 البندقية Venezia ١١٥ ، ٤٥
 بنة فراطة Peñahora ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩
 بونس بويجس Kons Boigues :
 ١٢٤
 بياسة Baeza ١٠٥
 البير Albir ٤٠
 بيكر (السيرس) Baker
 : ٥٥
 بيليش (خوان اتونيو)
 Juan Antonio Penyer : ٢٩ ، ٣٠
 ناجو (نهر) Rio Tajo ٣٦ ، ٣٧
 ٣٩ ، ٤٠
 تاخونيا (نهر) Rio Tajuana

الفونسو الثامن (ملك قشتالة)
 Alfonso VIII ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥
 الفونسو العاشر الملقب بالعالف
 Alfonso X, el Sabio
 ١١٦
 بنوأميه : ٤١ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ٩٧
 انجلترا : ١٣
 أوريلية Oreja ١٠٤
 أوليفر أسين (خاتمه) Oliver
 Asin (Jaime) ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٥٥ ،
 ٥٩ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١١٧ ،
 ١٢٤
 لويش ميراندا Nuici Miranda :
 ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥
 ويس القرني : ١١٤
 أبران : ٥١ ، ٧
 أيوب بن حبيب اللخمي : ١٦
 باب الحديد أو الجيزين (بقاس) :
 ١٢٢
 باب شعرا (بطليلة) Bisagra
 ٧٨
 الباجي (أبو محمد) : ١٢٥
 الباجي (أبو الوليد) : ١٢٧
 باراخاس Barajas : ١٠٧
 بازل : ١١٥
 بالندفور Valdemoro ١٠٧
 رافو موريللو Bravo Murillo
 ٦٤
 البربر : ٨ ، ١٦ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٨٩ ، ٩٣
 ٩٤
 البرقات أو البيرثيه (جبال)
 Pirineos ٣٧ ، ٤٧
 البرتغال Portugal : ٥ ، ٦ ،

٤٥

نافيلالات : ٥٢

تانسيفت (نهر) ٥٤

طيلة Tudela : ٢٧ ، ١٢٠

تاماريد (فرانسيسكو لوبث دي) :
Francisco Lopez de Tamarid

٢٧ ، ٢٦

توريخون دي بيلاسكو Torrejon

Velasco ١٠٧

توريس بلباس Torres Balbas

١٢٤ ، ٧٨

تولوز Toulouse ١١٥

قيودوتوس Theodotos ٣٢

نابت بن قوة : ١١٥

الشعر الأدنى : ١٦ ، ٢٨ ، ٩٢ ، ٩٧

٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٦

الشعر الأعلى : ١٠٠ ، ١٢٠

الشعر الأوسط : ١٦

جامع الزهراء : ١١٢

جبل سليمان : ١٠٢

جبل طارق Gibraltar : ١٣

جبل فازان : ١٢٢

كنارياس Islas Canarias

الجزائر الخالدات أو جزر السعادة (جزر

٥٥

الجزائر الشرقية (جزر البليار)

Balears ١٠٦

جزيرة الخضراء Algeciras : ١٣

الجزيرة العربية : ٥٢

جساس السجلمامسي الزاهد : ١٢٠

جعفر بن عثمان الصخفي الوزير : ٩٣

جليقية Galicia ٢٧ ، ٨٨

جوادا ليكس (نهر) Guadalix

٤٥

جوادا ليكس (قرية) : ٤٠

جوان الاسبيلي Juan Hispalense

١١٥

جوفانتيس Govantes ٣٠

جومت مورينو (مانويل) Mannel

٢٣ ، ٤٢ Gómez Moreno

جونثالث بالنتيا Gonzalez

١١٧ Palencia

جونيفر (يوهانس) Johannes

Gongfer ٣١

جيان Jaén ٤٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١١٢

بنو الحاج المجرييون : ١١٣

ابن الحاج (أبو الحسن عبد الرحمن بن

عيسى المجريطي : ١١٣

ابن الحاج (أبو العباس يحيى بن عبد

الرحمن بن عيسى المجريطي) :

١١٣ ، ١١٤

بن فرج المجريطي : ١١٣

ابن الحاج (أبو العباس يحيى بن عبد

حامد دي جرينيون

٨٤ Hamad de Grinon

حامد دي كوباس

٨٤ Hamad de Cubas

انتجاري : ١٢٨ ، ١٢٩

الخجاز : ٨

٦١ Mahudes حديقة محمود

أبن حزم النربطي : ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ،

٩٧ ، ١٢٠ ، ١٣٢

حسين مؤنس : ٣٨ ، ٦٠ ، ١١٧

الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر:

١١٥

رفيع ، ملك ليون (راميرو الثاني

Ramiro II : ٩١ ، ٩٢

ابن رشد القرطبي (أبو الوليد

الفيلسوف) : ١١٤

ف. و. روبنز : F. W. Robins

■ ■ ■

الرومان : ٣ ، ٥ ، ٨ ، ٢٨ ، ٢٩ ،

٥٧ ، ١٢٢

رويث دي الاركون (خوان) Juan

Ruiz de Alarcón : ٤٥

ريبرا : Ribera : ٦٣

ريتر : Ritter : ١١٦

زايبولد : Seybold : ٣١

الزبيدي الاشيلي (أبو بكر) : ١١٠ ،

١٢٥

ابن أبي ذرع : ٧٤ ، ١٠١ ، ١٢٢

الزقيقة : Aznueca : ٤١

الزلاقة : Sagrajas : ١٠٠

ابن أبي زمين الالبيري : ١١٠

زنانه : ٩٤

الزهاوي (الجراح) : ١١٦

ابن زيدون : ٩٦

بنو سالم (أمراء الثغر الأدنى) : ٨٩ ،

٩٠

سالم بن ورعمال الصمودي : ١٦ ،

٨٩

ساميرو : Sampiro : ٣٣ ، ٩١

سانتش بيريث : Sánchez Perez

١١٧

سحنون (عبد السلام بن سعيد) :

١٢٢

سدراته : ٥٢

بنو حماد المجريطيون : ١١٠

ابن حماد (أبو المطرف عبد الرحمن بن

عبد الله بن حماد المجريطي) : ١١٠

ابن حماد (أبو يعقوب يوسف بن

عبد الرحمن الحمادي الجريطي : ١١٠

الحمراء (غرناطة) : Alhambra : ١١

لحميدي : ٩٧

الحميري (ابن عبد النعم) : ٢٠ ،

٦٠ ، ٧٩ ، ١٢٩

ابن حيان : ٢٠ ، ٣٩ ، ٨٧ ، ٨٨ ،

٨٩ ، ٩٠ ، ١٢٩

جانير : Janer : ١٠٨

ابن الخطيب (لسان الدين) : ١١٤

ابن خلدون (المؤرخ) : ١١٦

ابن خلدون (الطبيب) : ١١٦

الخوارزمي (محمد بن موسى) : ١١٥

دي خويه : De Goeje : ٥٣

دار القاضي : Daralcalde : ٤٠

ابن دراج القسطلي : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ،

دراس بن اسماعيل القاسي (أبو ميمونة)

١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢

دمياط : ١٢٥

دوذي (راينهارت) : Reinhardt

Dozy : ٥٣

الدويره (نهر) : Rio Duero

٣٧ ، ٣٩

بنو ذى النون الهواريون (ملوك

طليطلة) : ٩٩

الرازي : ٢٠

رافو : Rafo : ٦٣

الريرو (متزه مدريد) : El Retiro

٤٨

- ٥٧ ، ٩٢
 شقورة Segura : ٤٢
 السيدة شمس Doña Xanci : ٧٨
 الشنتجياي الطليطي (أبو محمد) :
 ١١٠
 شوقي صيف : ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٢٩
 صاعد الطليطي : ١١٦
 ابن الصفار : ١١٦
 الصقالبة : ٨
 صنهاجة : ٩٤
 الضبي : ١١٠ ، ١٢٤
 الضوية Aldovea : ٤٠
 طارق بن زياد : ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ٨٩ ،
 ١٢٠ ، ١٣٢
 طرابلس : ١١٠
 طريف بن ملوك (أبو زرعة) : ١٣
 طلبيرة Talavera de la Reina :
 ٣٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٢٧ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩
 طلمنكة Talamanca : ٢٠ ، ٢١ ،
 ٣٩ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ،
 ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩
 طليظة Toledo : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٨ ،
 ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٧ ،
 ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
 ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ،
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩
 أبو العباس المرسي : ١٥
- لبن أبي السرح (أبو الطاهر أحمد بن
 الطاهر) : ١١٧
 سرقسطة Zaragoza : ١٦ ، ٣٨ ،
 ٣٩ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١١٩ ،
 ١٢١ ، ١٢٥
 سريّة Soria : ١٦ ، ٢٧ ، ٣٨ ،
 ٩٢
 ابن سعيد : ١٠٠ ، ١١٤ ، ١٢٤ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩
 سعيد بن سالم المجريطي (أبو عثمان) :
 ١٩ ، ١٠٩ ، ١١٨
 السلاوي : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٢ ، ١٢٧
 ابن سلمون التجيبي الأقلشي (أبو
 المطرف عبّاس الرحمن بن
 خلف بن سلمون) : ١١٨ ، ١٢١
 سليمان بن الحكم المستعين : ٩٣ ، ٩٤ ،
 ٩٧
 ابن سهل : ١٢٧
 جوان سوسا Joao Sousa : ٣٠
 وسية دي سوسا José de Soca : ٥٥
 سويسرا : ١١٥
 الشارات (إقليم) Sierras : ١٢٨
 شاطبة Játiva : ١٠٥
 الشاطبي (القاسم بن فیره الرعيني
 المقرئ) : ١٠٥
 حي الشاطبي (بالاسكندرية) : ١٠٥
 الشام : ٧ ، ٨
 شرنبة (نهر) Rio Jarama :
 ٤٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ،
 ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤
 ابن شعبان القرطبي : ١١٨
 شقوية Segovia : ٣٦ ، ٣٨

- ابن عبد البر (أبو عمر) ١١١ ، ١١٩ ،
١٦٦
عبد الرحمن بن معاوية (انداغل) :
٢٨ ، ٣٧
عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) :
١٥
عبد الرحمن بن محمد (الناصر) :
١٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ١٢٢
عبد الرحمن بن مروان الجليقي : ١٥
عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر :
٩٦ ، ٩٣
أبو عبد الله المجريطي : ١١٤
... بن ... محمد :
١١١
عبد الله بن محمد بن عبيد الله (عامل
مجريط) : ٩٠ ، ٩١
عبد الله بن يونس (المهندس) : ٥٤ ، ٥٣
عبيد الله بن سالم (عامل مجريط) :
٨٨ ، ٩١
عبيد الله بن محمد بن هشام بن عبد
النجار المهدي : ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨
عبيد الله المهدي : ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧
عبيد الله بن المهدي :
(أنظر « غلام الفصيح »)
عبيد الله بن يحيى بن بن يحيى : ١١٧
أبو عبيدة معمر بن النخعي : ٥٢
عبيسة بن دوناس المغراوي : ١٢٢
عدوة القرويين (بفاس) : ١٢٢
ابن عذاري الأراكشي : ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢
١٠٤ ، ١٢٩
العراق : ٧ ، ٨
أبو بكر بن العربي الأشبيلي : ١١٣ ،
١٢٧ ، ١٢٨
محيي الدين بن عربي المرسي : ١٥
- ابن العسال الطليطلي : ١٠٠
ابن العطار : ١١٠ ، ١٢٧
علي بن دباح التابسي : ١٦
علي بن يوسف بن تاشفين : ٥٣ ، ٥٤
١٠١ ، ١١٢
المقاب (موقمة)
Las Navas
de Tolosa
١٠٦
عمروس Ambroz : ٤٠
عتان (محمد عبد الله) : ١١٤
عيسى بن محمد الحجاري : ١٢٦
غالب (قائد الفخر الادبي) : ٩٢ ، ٩٣
غانم بن الاسعطي الطلمنكي : ١٢٤
غريب بن خلف بن قاسم أقيسي
المجريطي : ١١٤
قرسية غومسي Garcia Gómez
٩١
غرناطة : ١١ ، ١٢ ، ٤٢ ، ٧١ ، ٧٤ ،
١٠٦ ، ١١٢
الغزيري (ميخائيل) Miguel Casiri
٤٩
غلام المطار الفصيح (متتخل شخصية
عبيد الله بن المهدي) : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦
٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩
فاس (المغرب الأقصى) : ٧٤ ، ١٢١ ،
١٢٢
الفاطميون : ٩٥ ، ٩٦
فج البر Ajalvir : ٤٠
فحص بوتاس Vacibotas : ٤٠
فحص مجريط Vaciamadrid : ٤٠
فحص المدينة Salmedina : ٤٠ ، ١١٩
أبن فرتون السرفسفي (محمد بن عبد
الله) : ١٢٦
الفرج بن مسرة بن سالم : ١٦ ، ٨٩
أبن فرحون : ١٢٧
أبن القرقي : ١١٠ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢
فرغليط Forgollitas : ٤٢

- قتيط : Cafete ٤٢ :
 قوريه : Coria ٣٧ :
 القوطيون : ٨٠٧ ، ٥٠ :
 القروان : ٩٥ ، ١٢٢ ، ١٢٥ :
 كارلوس الثالث : Carlos III ٢٩ :
 كاسترو « نونيث دي » : Nuñez de
 Castro ٢٨ ، ٢٧ :
 الكرسي : Alcaraz ١٠٤ :
 الكرمانى : ١١٦ :
 الكلثيون : Los Celtas ٢٢ :
 كنتانا « خرونيمو دي » : Jerónimo
 de Quintana ٢٨ :
 كوك : Cock ٢٥ :
 كوندى « خوسيه أنتونيو » : José
 Antonio Conde ٢٠ :
 كونكة : Cuenca ١١٨ ، ١٠٤ :
 لاسودى لافيغا « جابريل لوبو » :
 Gabriel Lobo Laso de la Vega
 ٢٧ :
 ابن لباية (محمد بن عمر) : ١١٧ :
 اللج « حصن » :
 (انظر « البسيط »)
 لقت : Alicante ٧٤ :
 لوبث دي اويوس : Lopez de Hoyos ٢٥ :
 لوبى دي فيجا : Lope de Vega
 ٢٧ ، ٤٥ ، ٤٧ :
 لوشه : Loja ٤٢ :
 ليزج : ١١٦ :
 ليهي بروفنسال : Lévi-Provençal
 ٢٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ :
 ليون : León ٣٩ ، ٩١ :
 مالقة : Malaga ٤٢ ، ١٠٦ :
 مالك بن أنس : ٩١ ، ١١٧ ، ١٢٧ :
 المانشانارس (نهري)
 Rio Manzanares
 (او نهر وادى الرمل) : ٢١ ، ٤٠ ،
 ٤٥ ، ٤٧ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١١٩ :
 فرناندو بن الفونسو الثامن : ١٠٥ :
 ابو انفصل (مولى السلطان على بن
 يوسف الترابطى) : ٥٢ :
 فلسطين : ٨ :
 فنتوريني : Venturini ٢٥ :
 فوينكارال : Fuencarral ٦٠ :
 فيدل فينا : Fidel Fita ٣١ :
 فيليب الثاني : Felipe II ٢٥ ، ٦٢ :
 فيليب الثالث : Felipe III ٦٢ :
 ابن القباسى الكفيف : ١٢٢ :
 القالى (ابو على) : ١١١ ، ١١٢ :
 القاهرة : ٨٢ ، ٩٤ ، ١٢٥ :
 قبرص : ٥٥ :
 القرضيط : Alcardete ٤٢ ، ٤٣ :
 قرطبة : Córdoba ١١ ، ١٢ ، ٢٨ ،
 ٧١ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٦ :
 ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ :
 ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ :
 ١٢٥ ، ١٢٧ :
 ابن افتراز (ابراهيم بن محمد بن باز
 القرطبي) : ١١٧ :
 القرقون : Alcorcón ٨٢ :
 قشتالة : Castilla ٩٣ ، ٩٩ :
 ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٦ :
 قصر قرطبه : ٩٨ :
 قصر المعتمد بن عباد باشبيلية : ١١ :
 ابن القطان : ١٠١ :
 قلعة ابوب : Calatayud ١٦ :
 قلعة الحلفا : Calatayud ٣٩ ، ٨٣ :
 قلعة رباح : Calatrava ١٦ ، ١٠٢ :
 ١٢٩ :
 قلعة عبد السلام : Alcalá de Henares
 ٦١ ، ٩٢ ، ١٠٤ :
 قلصيرة : Coimbra (البرتغال) : ٣٧ :
 القلصية : Alcolea ٤١ :
 قنالشي : Canales ٣٩ ، ١٠١ :
 قنتيش : ٩٤ :

قنال ايزابيل الثانية
 ٦٤ Canal de Isabel II
 قوس السكاكينية
 ٨٤ Cuchilleros
 المدينة (بالتصغير)
 ٧٩ ، ٧٥ ، ٧٤ Almudena
 أو القصبة :
 ٧٩ ، ٧٥ ، ٧٤ Basilica
 كنيسة عذراء المدينة
 de la Virgen de la Almdudena
 ٧٥ :

مرج الصربي :
 (أنظر المصارة)
 مسجد القصبة أو المدينة : ٧٧ ، ٧٥
 المسجد الجامع (في مجريط) : ٧٩
 المسرح الملكي أو مسرح الاوبرا
 Teatro Real, Teatro de la Opera
 ٧٧ :
 المصارة Almuzara (أو مرج العربي)
 ٧٤ : Campo del Micro
 الميدان الأكبر
 Plaza Mayor ٨٤ ، ٧٧
 ميدان التسع
 Plaza ue la Cebada ٧٨ :
 ميدان الطوج
 Plaza de Atocha : ٨٣

محمد بن بنوش : ٨٨
 محمد بن حنين الاستنجي : ١١٧ ، ١١٨
 محمد بن رافع بن غريب : ١٢٥
 محمد بن عبد البر (أبو عبد الله) : ١١٧
 محمد بن عبد الرحمن بن الحكم : ١٥ ،
 ١٩ ، ٢٩ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
 ٩٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٢
 محمد الفتي بالله (سلطان غرناطة) : ٧٤
 محمد بن هشام بن عبد الجبار الهدي :
 ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨
 محمد الناصر بن يعقوب النصور
 « الخليفة الموحدى » : ١٠٦
 بنو مخزوم : ١٦ ، ٨٩
 المدجنون Mudejares : ١٠٦ ، ١٠٧

ماتاناروس (قرية) : ٤٠
 ابن مجاهد : ١١٢
 مجريط :
 باب الحنش Puerta de la Culebra
 (أو الباب الملقى Puerta Cerrada)
 ٧٧ ، ٧٨
 باب الخيابة :
 (أنظر باب الفحص)
 باب نسقرا Puerta de Xagra
 (أو باب المسلمين Puerta de)
 ١٦ ، ٧٨ ، ١٠٧ Moros
 باب الفحص Puerta de la Vega
 ٢٦ ، ٧٥
 باب قشتالة ١٨ Puerta de Castilla
 باب المدينة (بضم الميم وفتح الدال
 وسكون الياء)
 ٧٩ ، ٧٥ Puerta de la Almdudena
 باب الناظور Valnadu : ٧٧
 باب وادى الحجارة
 Puerto de Guadalajara
 ٢٦ ، ٧٧
 بوابة الشمس (ميدان)
 del Sol Puerta ٢٨
 تشامارتين (حي) : ٦٠ ، ٦١
 الحمامات العربية في مجريط : ٧٨
 فحص المدينة ٤٨ : Casa de Campo
 الشارع الأكبر ٧٩ : Calle Mayor
 شارع الحصارين أو الطواجين
 ٨٣ : Calle de Esparteros
 شارع طليطلة ٧٧ : Calle de Toledo
 شارع الطار ٩٩ : Calle de Alatar
 السوق الكبير
 Azoque
 (أنظر الشارع الأكبر)
 قصر الشرق أو القصر الملكي
 Alcázar, Palacio de Oriente,
 ٧١ ، ٧٥ : Palacio Real
 Alcazaba
 قصبة مجريط
 (أنظر المدينة)

- الدور Almodovar : ٤١
 المدينة النورة : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٥
 مدينة سالم Medinacefi : ١٦ ،
 ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠
 ٩٢
 مدينة الفرج :
 (أنظر وادي الحجارة)
 المرابطون : ١٦ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ١٠٠ ،
 ١٠١ ، ١٠٢
 مراکش : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤
 مرسية Murcia : ١٥ ، ٧٤
 ١٠٦ ، ١١٢
 مرو : ٥٢
 الربة Almeria : ١٥ ، ١٠٦
 المستعربون Los Mozarabes :
 ٥٨ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٠ ، ٦١
 المستكفي بالله : ٦٥ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ٩٨
 المسجد الجامع بقرطبة : ٨
 مسلمة بن أحمد الجريطي (أبو القاسم)
 ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٥
 مسنيط Massanet : ٤٢
 مسوطة (عامل طليطلة) : ٨٨ ، ٨٩
 المصاراة (جنة المصاراة أو فحس
 المصاراة) بفاس : ٧٤
 مصارة مجريط :
 (أنظر مجريط)
 مصر : ٧ ، ٨ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٧ ،
 ١٢١ ، ١٢٢
 ابن أبي مطر : ١٢١
 المغرب (أو شمال أفريقيا) : ٥ ، ٧ ،
 ٨ ، ١٦ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٨٥ ،
 ٩٥ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ،
 ١٢٩
 ابن مفيث الطليطلي : ١٢٧ ، ١٢٨
 ابن مفرج القاضي : ١٢٥
 المقتر بن هود (أحمد بن سليمان) :
- ١١٩
 القدس : ٥١
 مكادة : Maqueda ، ١٠٤ ، ١٢٩
 مكة : ١٢٥
 محمود علي مكي : ٦ ، ٢٠ ، ٥٤ ، ٨٨ ،
 ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٢١
 ملوك بطوناف : ١٥ ، ٤١ ، ١٢٤
 ملياس فاليكروسا Millas Vallierosa
 ١١٧
 خوان أوربانو دي مندوتا Juan
 Huriado de Mendoza : ٢٣
 المنصور بن أبي عامر : ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٩
 المنصور الموحدي :
 (أنظر يعقوب المنصور)
 منندت بيدال (رامون) Ramón
 Menéndez Pidal : ٢٢ ، ٢٥
 ابن المواز : ١٢١
 الموحسون : ١١٥ ، ٤٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦ ، ١١٢
 الموريسكيون Los Moriscos : ٥ ،
 ٢٥ ، ٢٦ ، ٧٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨
 موسى بن قاسم بن حضر الطليطلي : ١١٨
 موسى بن نصير : ٦ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٣٢
 موله (حصن) Muela : ٩٢
 ميورقة Palma de Maiorca : ٢٥ ، ٧٤
 نيسابور : ٥١
 هارون بن موسى بن جنبد القيسي
 الجريطي : ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣
 هرمان سسكوندوس Herman Secundus : ١١٥
 الهروي (أبو ذر) : ١١
 الهند : ٧
 ابن الهندي : ١١٠
 وادي آنه (نهر) Rio Guadiana :
 ٢٩
 وادي الحجارة (أو مدينة الفرج

- واضح الصغبي : ٩٢
 وبدة Huete : ١٠٤ ، ١٠٥
 وقشي Huecas : ١٢٩
 ولاده بنت المستنقى : ٩٦
 وبنو Ounos : ٣٩
 وهب بن عيسى الطليلي : ١١٨ ، ١٠٩
 وهب بن مسرة الحجاري : ١٠٩
 يافوت الحموي : ١٩ ، ١٢٩ ، ١١٣
 يحيى بن اسماعيل بن ذي النون : ١١٩
 يحيى بن بكر : ١١٧
 يحيى بن عمر (اندلسي) : ١٢١
 يمن بن رزق التطيلي : ١٢٠ ، ١٢١
 يحيى بن يحيى الليثي الصمودي : ٩١ ، ١١٧
 يعقوب المنصور الموحدي (أبو يوسف) :
 ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٤
 اليعقوبي : ٥١
 اليمن : ٨
 يوسف بن تاشفين : ١٠٠ ، ١٢٠
 يونس بن شوقه أبو الوليد : ١١٩
- Guadalajara : ١٦ ، ١٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١
 ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩
 ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩
 نهر وادي الحجارة (أو نهر أيتارس)
 ١ : Rio Henares
 وادي دار زيد Valdaracete : ٤٠
 جبال وادي الرمل (أو جبال السارات)
 ٣٢ : Sierra de Gudarrama
 ٢٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٦٣
 ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٩
 ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣٠
 فج وادي الرمل Puerta de
 ١٢٣ : Guadarrama
 نهر وادي الرمل :
 (انظر نهر مانتانارس)
 وادي سليلف Guadacelete :
 ٤٢
 نهر الوادي السكين Guadalquivir :
 ١١

فهرس الالفاظ ذات الدلالة الخاصة

- الحلفا Alfalfa : ٨٢
 الخطارة : ٤٣ ، ٥٤
 ديوان الماء : ٥٢
 الطوج Atocha : ٨٣
 العقارة : ٥٢
 الفقم : ٥٢
 القانوس Arcaduz : ٤٨
 القبيبة Alcubilla : ٥٩
 قنية (تصغير قناة) Canilla :
 ٦٧
- الكنظمة : ٥٢
 لطينية الاندلس (اللاتينية الدارجة)
 Romance : ٦٦
 المجري الجوفي Alcantarilla :
 ٦٧ ، ٦٦
 الحنشب Almutaceb : ٧١
 محاكم التحقيق Inquisicion : ١٠٧
 المرابطي (الدينار) Maravedi : ٦٢
 التاعورة Noria : ٤٧ ، ٤٨

فهرس

صفحة

٣ ثميد
٥ الحضارة العربية فى اسبانيا
١١ مدريد : صفحة مشرفة من تاريخ الحضارة الأندلسية
١٣ المدن التى أنشأها العرب فى الأندلس
١٩ اسم مجريط : هل هو اسم عربى ؟
٢٣ آراء المؤرخين واللغويين فى اشتقاق اسم «مجريط»
٣٥ رأى جديد يضع ختاماً للجدل حول اسم «مجريط»
٤٥ «مجريط» مدينة منشأة على الماء
٥١ سوابق اسلامية لمدرید
٥٧ نظام المجارى الجوفية فى مدريد
٦٥ «مجريط» : اسم عربى ونهاية اسبانية
٧١ معالم مدريد العربية
٨١ التجارة والصناعة فى مجريط
٨٧ تاريخ مجريط العربية :

صفحة

٩٠	مجريط فى أيام الخلافة الاموية
٩٣	مجريط والفتنة القرطبية
٩٤	ثورة عبيد الله بن المهدي فى مجريط
٩٩	مجريط فى عصر الطوائف
١٠١	مجريط فى عهد المرابطين والموحدين
١٠٦	مجريط فى ظل المسيحيين
١٠٩	الحياة العلمية فى مجريط العزبية :
١٠٩	أبو عثمان سعيد بن سالم المجريطى
١١٠	أسرة بنى حماد المجريطيين
١١١	عبد الله بن سعيد المجريطى
١١١	هارون بن موسى بن جندل المجريطى
١١٣	أسرة بنى الحاج المجريطيين
١١٤	أبو عبد الله المجريطى
١١٥	مسلمة بن أحمد المجريطى
١١٧	أبراهيم بن محمد بن باز القرطبى
١١٧	محمد بن حنين الاستجى
١١٨	عبد الرحمن بن خلف بن سلمون الأقلشى
١١٨	موسى بن قاسم بن خضر الطليطلى
١١٩	أبو الوليد يونس بن شوقه الطليطلى
١٢٠	جساس السجلماسى الزاهد
١٢١	أبو ميمونة دراس بن اسماعيل الفاسى

صفحة

غانم بن الاسقطير الطلمنكى	١٢٤
أبو عمر الطلمنكى	١٢٤
«عمل» مجريط الفقهى	١٢٦
كتابات الجغرافيين العرب عن مجريط	١٢٨
خاتمة	١٣٠
ملحق :	

ثبت بأسماء بعض الأعلام الجغرافية ذات الأصل العربى	
فى أقاليم طليطلة ووادى الحجارة ومجريط :	١٣٣
فى طليطلة	١٣٣
فى وادى الحجارة	١٣٤
فى مدريد	١٣٦
انفهرس :	

كشف عام	١٣٧
فهرس الألتاظ ذات الدلالة الخاصة	١٤٦
فهرس محتويات الكتاب	١٤٧
الخرائط والرسوم والصور :	
١ - المدن التى أنشأها العرب فى الأندلس	١٤
« خريطة رقم ١ »	
٢ - مدريد والمنطقة المحيطة بها	٢٦
« خريطة رقم ٢ »	
٣ - نظام المجارى الجوفية	٥٨

« رسم »

- ٤ - مجريط العربية وموقعها من مدريد الحالية ... ٦٩
 « خريطة رقم ٣ »
- ٥ - مدريد الحالية ... ٧٠
 « خريطة رقم ٤ »
- ٦ - قنطرة طليطلة ... ٧٢
 « صورة فوتوغرافية »
- ٧ - ميدان بوابة الشمس ... ٧٣
 « صورة فوتوغرافية »
- ٨ - القصر الملكي أو قصر الشرق ... ٧٦
 « صورة فوتوغرافية »